مصطفى محمود

رأيت الله

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الكثير منا يذكر قصة الأسد الذى اغتال مدربه « محمد الحلو » وقتله غدراً فى أحد عروض السيرك بالقاهرة وما نشرته الجرائد بعد ذلك من انتحار الأسد فى قفصه بحديقة الحيوان واضعاً نهاية عجيبة لفاجعة مثيرة من فواجع هذا الزمان .

والقصة بدأت أمام جمهور غفير من المشاهدين فى السيرك حينما استدار محمد الحلو ليتلقى تصفيق النظارة بعد نمرة ناجحة مع الأسد « سلطان » . . وفى لحظة خاطفة قفز الأسد على كتفه من الخلف وأنشب مخالبه وأسنانه فى ظهره . . وسقط المدرب على الأرض ينزف دماً ومن فوقه الأسد الهائج . . واندفع الجمهور والحراس يحملون الكراسى وهجم ابن الحلو على الأسد بقضيب من حديد وتمكن أن يخلص أباه بعد فوات الأوان

ومات الأب فى المستشفى بعد ذلك بأيام .

أما الأسد سلطان فقد انطوى على نفسه فى حالة اكتئاب ورفض الطعام .

وقرر مدير السيرك نقله إلى حديقة الحيوان باعتباره أسداً شرساً لا يصلح للتدريب .

وفى حديقة الحيوان استمر سلطان على إضرابه عن الطعام فقدموا له أنثى لتسرى عنه فضربها فى قسوة وطردها وعاود انطواءه وعزلته واكتئابه .

وأخيراً انتابته حالة جنون فراح يعض جسده وهوى على ذيله بأسنانه فقضمه نصفين . . ثم راح يعض ذراعه الذراع نفسها التى اغتال بها مدربه وراح يأكل منها فى وحشية وظل يأكل من لحمها حتى نزف ومات واضعاً بذلك خاتمة لقصة ندم من نوع فريد . . ندم حيوان أعجم وملك نبيل من ملوك الغاب عرف معنى الوفاء وأصاب منه حظاً لا يصيبه الآدميون .

أسد قاتل أكل يديه الآثمتين .

درس بليغ يعطيه حيوان للمسوخ البشرية التى تأكل شعوباً وتقتل ملايين فى برود على الموائد الدبلوماسية وهى تقرع الكؤوس وتتبادل الأنخاب ثم تتخاصر فى ضوء الأباجورات الحالمة وترقص على همس الموسيقى وترشف القبلات فى سعادة وكأنه لا شىء حدث .

إنى أنحنى احتراماً لهذا الأسد الإنسان .

بل إنى لأظلمه وأسبه حين أصفه بالإنسانية .

كانت آخر كلمة قالها « الحلو » وهو يموت . . أوصيكو ما حدش يقتل سلطان . . وصية أمانة ما حدش يقتله .

هل سمع الأسد كلمة مدربه . . وهل فهمها .

يبدو أننا لا نفهم الحيوان ولا نعلم عنه شيئاً .

إن القطة العجماء تتبرز ثم لا تنصرف حتى تغطى برازها بالتراب . .

هل تعرف تلك القطة معنى القبح والجمال . . ؟ ! !

وهى تسرق قطعة السمك من مائدة سيدها وعينها تبرق بإحساس الخطيئة فإذا لمحها تراجعت . . فإذا ضربها على رأسها طأطأت رأسها فى خجل واعتراف بالذنب .

هل تفهم القانون .

هل علمها أحد الوصايا العشر .

والجمل الذى لا يضاجع أنثاه إلا فى خفاء وستر . . بعيداً عن العيون فإذا أطلت عين لترى ما يفعله امتنع وتوقف ونكس رأسه إلى الأرض .

هل يعرف الحياء . . ؟ !

وخلية النحل التى تحارب لآخر نحلة وتموت لآخر فرد فى حربها مع الزنابير . . من علمها الشجاعة والفداء . . ؟ ! !

وأفراد النحل الشغالة حينما تختار من بين يرقات الشغالة يرقة تحولها إلى ملكة بالغذاء الملكى وتنصبها حاكمة . . فى حالة موت الملكة بدون وارثة .

من أين عرفت دستور الحكم .

والفقمة المهندسة التى تبنى السدود .

وحشرات الترميت التى تبنى بيوتاً مكيفة الهواء تجعل فيها ثقوباً سفلية تدخل الهواء البارد وثقوباً علوية تخرج الهواء الساخن .

من علمها قوانين الحمل الهوائى .

والبعوضة التى تجعل لبيضها الذى تضعه فى المستنقعات أكياساً

للطفو يطفو بها على سطح الماء . . من علمها قوانين أرشميدس فى الطفو .

ونبات الصبار وهو ليس بالحيوان وليس له إدراك الحيوان من علمه اختزان الماء فى أوراقه المكتنزة اللحمية ليواجه بها جفاف الصحارى وشح المطر .

والأشجار الصحراوية التى تجعل لبذورها أجنحة تطير بها أميالاً بعيدة بحثاً عن فرص مواتية للإنبات فى وهاد رملية جديدة .

والحشرة قاذفة القنابل التى تصنع غازات حارقة ثم تطلقها على أعدائها للإرهاب .

والديدان التى تتلون بلون البيئة للتنكر والتخفى .

والحباحب التى تضىء فى الليل لتجذب البعوض ثم تأكله .

والزنبور الذى يغرس إبرته فى المركز العصبى للحشرة الضحية فيخدرها ويشلها ثم يحملها إلى عشه ويضع عليها بيضة واحدة . . حتى إذا فقست خرج الفقس فوجد أكلة طازجة جاهزة .

من أين تعلم ذلك الزنبور الجراحة وتشريح الجهاز العصبى .

ومن علم كل تلك الحشرات الحكمة والعلم والطب والأخلاق والسياسة .

لماذا لا نصدق حينما نقرأ فى القرآن أن الله هو المعلم .

ومن أين جاءت تلك المخلوقات العجماء بعلمها ودستورها إن لم يكن من خالقها .

وما هى الغريزة . . ؟ ! !

أليست هى كلمة أخرى للعلم المغروس منذ الميلاد . . العلم الذى

غرسه الغارس الخالق .

« وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وِمِمَّا يَعْرِشُونَ » .

ولماذا ندهش حينما نقرأ أن الحيوانات أمم أمثالنا ستحشر يوم القيامة .

« وَما مِنْ دابَّةٍ فِى الْأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ » .

« وَإِذا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ » .

ألا يدل سلوك ذلك الأسد الذى انتحر على أننا أمام نفس راقية تفهم وتشعر وتحس وتؤمن بالجزاء والعقاب والمسئولية . . نفس لها ضمير يتألم للظلم والجور والعدوان .

وحينما نقرأ عن نملة تتكلم .

« قالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ » .

لماذا تقلب شفاهنا فى استغراب ؟

وكيف يمكن أن تتوزع الوظائف فى خلية من ألوف النمل . . وكيف يمكن أن يشترك الكل فى نشاط اجتماعى معقد ودقيق دون لغة يتخاطبون بها . . ودون وسائط للتفاهم .

ولماذا ينصرف ذهننا حينما نقرأ عن اللغات إلى أنه لا لغات فى الدنيا إلا لغاتنا وحروفنا . . وأنه إذا كان على النمل أن يتكلم فإنه ليس أمامه إلا اللغة العربية وحروفها . . أو اللغة الفرنسية أو الإنجليزية . . فإذا لم نسمعه يتحدث بها فإنه لا يتكلم ولا يمكن أن يتكلم .

إنها نظرة الأفق الضيق التى نحاول أن نفهم بها كل شىء من

خلال حدودنا البشرية ومن خلال عاداتنا ومألوفاتنا ، وكأننا أمام خالق أفلست وسائله وأفلست حيله فلم يعد له من أسباب ووسائل إلا ما دلنا عليه علمنا الظاهر . . وننسى أن علمنا هو قطرة من علومه ونفحة من نفحاته وإلهامه .

يقول الله عن احتيال يوسف ليأخذ أخاه فى حاشية ملك مصر .

« وَكَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » .

يقول الله . . أنا الذى مكرت ليوسف وهديته إلى حيلته ومكره .

والذى يريد أن يرى عجائب هذا المكر الإلهى فليس عليه إلا أن يتأمل النباتات المفترسة . . وهى نباتات تنمو فى بيئة فقيرة فى النيتروجين فيزودها الخالق بسلسلة من الحيل الماكرة والآليات الغريبة لتصطاد الحشرات وتهضمها وتمتصها وتصل عن طريقها إلى ما ينقصها من نيتروجين . . فهى مرة مخلوقة بأوراق لزجة تلتصق بها الحشرات فلا تملك لنفسها انتزاعاً ومرة أخرى مزودة بأوراق محورة على شكل أكواب ذات جدران صابونية ملساء ما تكاد تلمسها الحشرات حتى تنزلق عليها وتقع فى الأكواب المليئة بعصارات هاضمة وتموت .

ومرة ثالثة مزودة بأوراق كالفخاخ تنغلق على أى جسم غريب يلمسها وتقتله بين مصراعيها .

ومرة رابعة مزودة بأوراق كالأصابع تتحرك فى آلية لتقبض على أى شىء يدب عليها وتخنقه وتمتصه .

أشياء لا تفسير لها بالنسبة لنبات لا عقل له ولا تدبير إلا أن يكون

هناك عقل خفى ومدبر خفى هو الذى اصطنع كل تلك الحيل الماكرة وزود بها مخلوقاته .

ولا يحل الإشكال أن نسمى هذه القوة الخفية . . الطبيعة . . فإنا لا نفعل بذلك أكثر من أننا نهرب من لفظ إلى لفظ . . نهرب من لفظ « الله » إلى لفظ « الطبيعة » . . دون أدنى تغيير فى المعنى . . فلفظة الطبيعة فى توظيفها الجديد تعنى المعنى نفسه . . الذات العاقلة المدبرة الحكيمة المهيمنة الخالقة المعتنية بمخلوقاتها .

هى المكابرة والعناد والاستعلاء على أن نعترف بأن « الله خلق » . . فنقول « الطبيعة خلقت » .

جحود للآيات الواضحة برغم إحساسنا بصدقها .

« وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا » .

وغرور عقلنا المحدود أمام الكون اللامحدود .

وما أبشع غرور ذلك الذى يمرض ويشيخ ويموت دون أن يستطيع كل علمه أن يفعل له شيئاً .

وما أحوجه إلى لحظة تواضع وخشوع واعتراف بالحق . .

إنه غرور العقل الذى يطلب الدليل على كل شىء ولو كان واضحاً مثل نور النهار . . والله أوضح من نور النهار . .

الله كما يقول الصوفى محمد بن عبد الجبار ، « يُستدل به ولا يُستدل عليه » فهو برهان كل شىء . لأنه الحق المطلق . ومن قصور النظر أن نطلب على الله برهاناً وأن نلتمس له الدليل من عالم البطلان . . كما نستدل على النور من مجىء النهار مع أن النهار لم يطلع إلا بفعل

النور . . فالنور هو الحق بذاته الذى يبرهن على نفسه بنفسه بمحض حضوره دون حاجة إلى وسائط . . وهو الذى يخرج الأشياء إلى عالم الظهور والعيان . . فالأشياء تعتمد عليه فى ظهورها وهو لا يعتمد عليها فى ظهوره فهو برهانها وهى لا تصلح أن تكون برهانه .

ولو سألنا قلوبنا عن الله لأغنتنا عن كل ذلك الجدل والتدليل . . فهو حاضر فى القلب مشهود للقلب على الدوام .

هو الوحيد الصخرة التى نلقى إليها المراسى فى بحر القلق والتغيرات والتقلبات . . حيث كل شيء يغرق بنا إذا لم نتشبث به ونلجأ إليه . وحيث تغمر قلوبنا السكينة حينما نستودع همومنا عنده ونسلمه مقاليدنا .

وما أكثر الأدلة إذا طلبنا الأدلة على وجود الله .

وما أغنانا عن الأدلة إذا حاولنا أن نفهم كل شيء بفطرتنا النقية وإحساسنا العميق .

وسوف نرى فى ومضة خاطفة أنه لا وجود لشيء إلا له هو . . وأنه هو الموجود . . وأن كل ما نرى هى تجلياته وأفعاله وكل ما نستشعره من عالم الخفاء والغيب هى ذاته . . وأنه هناك دائماً وأنه كان هناك وسيكون هناك . . وأنه الحضور المطلق الممتد المستمر فى أعمق الأعماق منذ لا زمان ولا مكان إلى حيث لا زمان ولا مكان . . وأن حياتنا لها معنى لأنه هناك . . وأن للوجود حكمة لأنه هناك .

وأننا نحب لأنه هناك .

وأننا نطلب العدل والحرية والكرامة لأنه هناك . . ونحارب الظلم والجور والعدوان لأنه هناك . .

وأننا نضحى ونسارع إلى الشهادة والفداء لأنه هناك .

هو هناك دائماً يسمع ويرى .

حتى من وراء حجب البهيمية والوحشية فى الأسد الأعجم الذى انتحر ندماً وأكل يديه الآثمتين اللتين قتلتا مدربه . .

حتى الحيوان شف عن ذلك الحضور السماوى العظيم وكشف عن نور الأغوار برغم غلظته .

هو هو دائماً . .

لا مهرب منه إلا إليه .

وأينما وليت وجهك فليس ثمة إلا وجهه هو .

تعالى ربنا على أن نبرهن عليه . . وبم نبرهن عليه . . والكل منه وإليه قائم به متوقف عليه .

هو لا سواه والكل أفعاله .

هو السر من وراء السر .

ليس له تعريف لأنه مرجع جميع التعاريف ولا يمكن إرجاعه هو إلى شيء . لا يحتويه الحرف ولا المعنى ولا الصورة ولا الشكل ولا الزمان ولا المكان فهو متعـال على كل هذا وعلى كل ما نعلم .

ومع ذلك فهو عين الحقيقة التى لا شك فيها وإن عجز عن وصفه الحرف وتقاصر عن رؤيته الطرف . . فأمره كالشوق الذى تكابده طول الوقت وإن عجزت عن وصفه والتعبير عنه . .

هو فى كل جميل . . فى تألق الفجر فى حمرة الغروب فى تفتح الوردة فى وضاءة الطفل . فى صدح العصافير . فى العيون الواسعة مثل

كؤوس الحنان .

تراه فى كل هذا وتقول . . الله . . تقولها ولو كنت كافراً . . ينطق لسانك بالرغم عنك أمام الجمال ليقول . . الله . . كما تصرخ حينما تتلوى بالألم . . وتقول يا رب . . يا لطيف . . وإن لم تكن تؤمن بالرب أو تعتقد فى لطف اللطيف . . ولكنه صوت قلبك الذى رأى طابع الإله وأثر يديه على مخلوقاته . .

ومع ذلك لا يصح أن نحصره فى مظهر أو مظاهر . . لأنه الظاهر وليس المظاهر . .

وفرق بين الظاهر وبين المظاهر . .

فالظاهر يظهر فى المظاهر دون أن تحصره أو تحتويه أو تستنفده . . فهو يتجلى فيها بصفاته وأسمائه التى لا حصر لها . .

أما المظاهر فهى وحدات محدودة هى شتيت من أجزاء . . براويز مختلفة وإطارات متباينة يتجلى من خلفها حكم الأسماء والصفات الإلهية . .

ولهذا نقول فى ديننا إن الله هو الظاهر والباطن .

الظاهر فعله والباطن ذاته . . ولا نقول عنه إنه المظاهر . .

وتخطئ البوذية فتقول إن الله هو مجموع ما يبدو من مظاهر . . فتحصره فى مجموع الصور المادية للكون وهذا مستحيل . .

مستحيل أن يكون الله قابلاً للحصر فى مجال الرؤية البصرية .

مستحيل أن يقبل العد والتجزئة .

وإذا سمعت من يتكلم عن رؤية الله من الصوفية المسلمين . . فإنه

لا يقصد رؤية العين . . وإنما رؤية العقل والبصيرة والإحساس . . الإحساس بالحضرة الإلهية بالمكابدة . . كما تكابد الشوق والحب دون أن تعرف له وصفاً ولا تعبيراً . . وهو مع ذلك يملؤك من الرأس إلى القدم . .

رؤية الحكمة النهائية من حركة الحوادث . .

قراءة المعنى الشفرى للدقائق والتفاصيل التى تمر عليك فى حياتك مما كنت تتصور أنها مصادفات عفوية ثم تكتشف أن كل تفصيل كان له دور وكل حادثة كان لها مغزى فى تسطير الحكمة والغاية البديعة وراء كل فعل تفعله .

كل هذا هو رؤية الله فى فعله .

استشفاف العدل الإلهى من وراء الظلم البادى للعيان هو رؤية وتعرف على الله فى عدله وإرادته الخفية . .

والكون والوجود والتاريخ أشبه بحجر رشيد . . يخيل للرائى الذى يراه للوهلة الأولى أنه يرى نغبشة بلا معنى على الحجر . . كما يخيل له أن التاريخ مجموعة من حوادث عشوائية ومصادفات . .

ولكن العارف يستطيع أن يفض الشفرة الإلهية للحوادث ويدرك مضمونها وحركتها ومسارها وحكمتها . . كما كشف شمبوليون شفرة الهيروغليفية على حجر رشيد وتمكن من قراءته . . فإذا بكل شىء له معنى وإذا بكل مصادفة تافهة لها مكانها فى الخطة الإلهية الشاملة . .

والحياة لذة عظيمة عند أصحاب الهمم والبصائر لأنها قراءة هادئة ممتعة لسطور الحكمة الأزلية فى كتاب الكون الذى تتعاقب صفحاته

أمام العين كل يوم ..

يقول الصوفى الفقير الذى يلبس الخرقة .. نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف ..

واللذة التى يروى عنها الصوفى هى لذة شهود الله فى آيات عظمته وروائع حكمته .. هى تلك القراءة المتأنية لشفرة الوجود والاستبصار لخفايا الأقدار ..

والسفينة التى جاء ذكرها فى سورة الكهف مثل من أمثلة تلك الخفايا .. فهى سفينة كانت لمساكين يعملون فى البحر .. وكان فى أعلى البحر ملك يتربص لكل سفينة فيأخذها غصباً .. ولم يكن موسى يعلم من أمر هذا الملك شيئاً ولا أصحاب السفينة المساكين كانوا يدرون شيئاً عما ينتظرهم .. الوحيد الذى كان يعلم كان رجلاً حكيماً آتاه الله العلم .

وعمد الرجل إلى السفينة فخرقها ليرى فيها الملك شيئاً تالفاً هالكاً لا يستحق أن يغصبه فيتركها لأهلها .

وفوجئ موسى بهذا العدوان الصارخ وهذا الإتلاف المتعمد الذى يقوم به الرجل لشىء لا يملكه ، ورأى فيما يفعله جريمة غادرة بدون وجه حق .. ولم يستطع صبراً ولا سكوتاً ورفع صوته بالاحتجاج والاعتراض ..

وكان على خطأ فى اعتراضه ولم يدرك أن ما يفعله الرجل هو الإنقاذ وليس التخريب .

وكانت هذه القصة درساً لموسى ليتعلم التواضع وليعرف أن هناك من يعلم أكثر منه ..

وهى درس لنا لنعلم أن لا شىء يحدث عبثاً .. وأن وراء الأقدار التى تبدو غادرة فى مظهرها حكمة .. وأن كل قطرة دم تسيل لا تُهدَر سُدَى وإن ظهر لنا من سطح الحوادث أنها أهدرت سدى ..

إنها تبدو كالعبث واللامعقول بالنسبة لمن لا يعرف كيف يقرأ الحوادث ..

ولكن الذين أوتوا البصائر يعرفون أنه سيكون لها دور لأن كل سطر فى ملحمة الوجود له معنى .

المهم أن نعرف كيف نقرأ بالعقول والبصائر لا بالعيون .

وكيف نرى الله فى سجل أفعاله ؟ ..

وكيف نرى أثر يديه على مخلوقاته ؟ ..

وكيف نعرف ما وراء الظاهر المبتذل للحوادث ؟ .

وكيف نفض الشفرة السرية التى كتب بها كتاب الأقدار .

كل هذه أمثلة لرؤية العقول والبصائر والأفهام .

وهذا حظ أولى الألباب من رؤية الله .. وهى رؤية آثاره واستشفاف حكمته والفهم عنه .

أما أهل القرب وأهل الحضرة فلهم حظ أكبر هو الرؤية بالقلب وفى هذه الرؤية يُهتك حجاب الأشياء ولكن تظل الذات الإلهية محجوبة بأنوارها فلا ترى جهرة ولا ترى رؤية عين .. وإنما يقول العارف إنه قد « زج بى فى الأنوار » وهى خبرة صوفية خالصة لا يعرفها إلا أهلها ولا قدم فيها لأحد إلا الندرة المختارة الذين أفنوا أنفسهم حباً وعبادة وإخلاصاً لله

بالقول والعمل . . ومن هؤلاء الإمام العارف قطب زمانه محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفّرى الذى أقدّم كلماته فى هذا الكتاب نقلاً وشرحاً لتحفته الخالدة « المواقف والمخاطبات » .

وما أورده فى الصفحات التالية هو ما قاله الإمام بحروفه أو محاولة لشرحه أو محاولة لفهمه أو استخلاصاً لمعانيه .

وحينما يقرأ القارئ فى هذه الصفحات قول الإمام :

قال لى ربى . . أو . . أوقفنى ربى بين يديه وقال . . أو خاطبنى ربى . . أو قال الله سبحانه . . فلا يجب أن ينصرف ذهنه إلى دعوى نبوة فالرجل كان أكمل من أن يدعى لنفسه نبوة ولم يزعم بأن جبريل نزل عليه . . . وهو ملتزم بالقرآن حرفاً ومعنى وبسنة محمد سلوكاً واتباعاً . . وإنما هى لغة الصوفية تعبيراً عما يلقى فى قلوبهم من الحقائق فى لحظات الصفاء الكامل . . فبدلاً من أن يقول الواحد منهم ألقيت فى قلبى هذه الحقيقة أو انقدح فى ذهنى هذا الخاطر . . يقول قال لى ربى . . إيماناً منه بأن نبع الحقيقة وملهمها هو الله وحده . .

والكتاب مجموعة قصاصات تركها الإمام بعد وفاته وجمعها أتباعه وتفصيل حياة الرجل غير معروف ولا نعرف عنه أكثر من أنه عاش فى القرن الرابع بعد الهجرة فى بلدة نفّار بالعراق وكان يتعشق الخلوات وقضى أكثر عمره فى التعبد والتأمل .

وتتضمن هذه القصاصات عدداً من المعارف الدينية العالية وتتعمق الكثير من أسرار الوجود وتتكلم عن الروح والجسد والأنا وتشرح التوحيد والإسلام والقرآن بلغة شديدة العمق غنية بالحقائق وتعيش

عباراتها فى العقل وتسكن شغاف القلب وبعضها يضىء ظلمة الروح كالبرق الكاشف .

والكتاب لخاصة الخاصة الذين يحبون التأمل ويعيشون مع الحرف ويصاحبون المعاني وليس للعوام الذين يقرأون للمتعة العابرة .

وهو بعد ذلك قطرة من بحر الحقائق الذى ألقى إلى هذا العابد الزاهد فى تحفته الخالدة « المواقف والمخاطبات » .

يقول الله لعبده .

يا عبد أنت لا تملك إلا ما ملّكتك .

لا تملك نفسك فأنا خالقها .

ولا تملك جسدك فأنا سوّيته .

أنت بي تقوم وبكلمتى جئت إلى الدنيا .

يا عبد قل لا إله إلا الله ثم استقم فلا إله إلا أنا ولا وجود حق إلا لى . . وكل ما سواى منى . . من صنع يدى ومن نفخة روحى .

يا عبد كل شيء لى فلا تنازعنى ما لى .

اردُدْ كل شيء إلىّ أتممه بيدى وأزيد فيه بكرمى . . . أسلم إلىّ كلّ شيء تسلم من كل شيء .

اعلم أن عبدى الأمين علىّ هو الذى رد سواى إلىّ .

انظر إلىّ كيف أجرى القسمة ترى العطاء والمنع اسمين لتعرفى عليك .

يا عبد رأيتنى قبل الدنيا وعرفت من رأيت وهو الذى إليه تصير . .

ثم خلقت لك الأشياء وأسدلتها حجاباً عليك ثم حجبتك بنفسك ثم حجبتك بنفوس الآخرين وجعلت كل شيء يدعوك إلى نفسه ويحجب عنى . . . ثم عدت فبدوت من خلفها جميعاً وتعرفت إليك وقلت لك إنى خالقها كلها وإني أخلفتك عليها وإنها أمانة عندك . . وعلى الأمين أن يرد الأمانة . . فهلا صدقتنى ورددت كل شيء إلىّ وحفظت العهد

« ومَنْ أوْفَى بما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً » .

« وَلَقَدْ عَهِدْنا إلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » .

يا عبد خلقت لك كل شيء فكيف أرضاك لشيء .

إنما نهيتك عن التعلق بشيء غيرة عليك .

يا عبد لا أرضاك لشيء حتى ولو كان الجنة ولو رضيتها أنت . . فقد خلقتك لى لتكون عندى . . عند لا عند وحيث لا حيث .

خلقتك على صورتى واحداً فرداً سميعاً بصيراً مريداً متكلماً وجعلتك قابلاً لتجليات أسمائى . . ومحلاً لعنايتى .

أنت منظرى . . لا ستور مسدلة بينى وبينك .

أنت جليسى لا حدود بينى وبينك .

يا عبد ليس بينى وبينك بين .

أنا أقرب إليك من نفسك .

أنا أقرب إليك من نطقك .

فانظر إلىّ فإنى أحب أن أنظر إليك .

الامتحان

أو حكمة خلق الدنيا وابتلاء الإنسان بالجسد

يقول الإمام النفرى إن الجسد حقيقة فانية وإنه ثوب ابتلاء خلقه الله لامتحان الروح .

والصفة البشرية بما فيها من شهوات وأهواء ورغبات ونزوات هى الأخرى ابتلاء وامتحان لِتوَجُّه الروح .

لا وجود للصفة البشرية بالأصالة وإنما هى الإغراء الذى تختبر به الروح وتعرف به رتبتها

هل تدرك الروح نسبتها إلى الله وتتوجه إليه بكل حبها وشوقها أم يجرها الجسد إلى شهواته .

هنا الامتحان .

يقول له الله فى مخاطباته .

إنما أظهرت الشهوات ستراً وحجاباً عليك لامتحان توجهك . . .
ولو أنك رأيت نفسك كما ترى السماوات والأرض لرأيت الذى يشهدها منك هو أنت بلا شهوة فيك ولا رغبة .

فلامتحانى لك ابتليتك بشهوة لا تثبت فى حكمك ولا تقوم فى مقامك . . فصفتك البشرية هى التى تميل وهى التى تهوى وهى التى تشتهى . . ولكنك أنت لا تميل ولا تهوى ولا تشتهى .

أنت من وراء ستر الشهوات ومن وراء حجاب الصفة البشرية روح مبرأة عن الشهوة عالية على الصفة البشرية لا تميل ولا ترغب .

ويقول له فى مكان آخر .

يا عبد جعت فأكلت ما أنت منى ولا أنا منك ، عطشت فشربت ما أنت منى ولا أنا منك ، (والمعنى المقصود أن مغالبة العبد لطبعه هى الدليل على معرفته لنفسه وإدراكه لشرف نسبه باعتباره روحاً تمت إلى الله وليس جسداً ينتسب إلى التراب) .

وفى القرآن يقول طالوت لجنوده : « إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » والذى اغترف غرفة بيده هو الشارب على قدر الكفاف . .

وهنا حكمة الصوم . . فهو إعلان الروح عن نفسها وعن قدرتها على قمع الجسد الذى ابتليت به . . والصائم برفضه الطعام يكون قد عرف نفسه ورد لها اعتبارها بصفتها روحاً لا تأكل ولا تشرب .

يقول الله لعبده :

خلقتك لى . . لجوارى . . لتكون موضع نظرى ومحل عنايتى .

وبنيت حولك سداً من كل جانب غيرة عليك .

ثم أردت أن أمتحنك ففتحت لك فى السد أبواباً بعدد ما خلقت وبعدد ما أبديت من جواذب الإغراء .

وخارج كل باب زرعت لك شجرة وعين ماء باردة ، وأظمأتك وحلفت بآلائي ما انصرفت عني خارجاً لتشرب إلا ضيعتك فلا إلى جواري عدت ولا على الارتواء حصلت . . . فقد ضللت عني ونسيت أني أنا الارتواء الوحيد والسكن الوحيد لك . . . وإني أنا الله خالق كل شيء . . مني المدد وبي الحياة كل الحياة . .

معنى اسمه «العزيز»

يقول الله لعبده :

ما أنا معيون للعيون وما أنا معلوم للعلوم وما أنا معروف للمعارف . . .

أنا العزيز الذى لا ينال . . لا يُهجم عليَّ بذكرى . . ولا يُطلع عليَّ بتسميتى . .

كل نطق ظهر فأنا خلقته وخلقت حروفه وألَّفته . . انظر إليه . . . لا يعدو أن يكون لغة المعيون والمعلوم والمعروف . . وما أنا من هؤلاء ولا صفتى مثلهم . . أنا الذى ليس كمثله شيء . .

أنا الله لا يُدخل إليَّ بالأجسام . . ولا تحيط بى الحروف . . ولا تستوعبنى الكلمات .

يا عبد ما كل ظاهر يُرى . . أنا الملك الظاهر بالكرم المحتجب بالعزة .

يا عبد أنا الظاهر ولا ترانى العيون وأنا الباطن ولا تطيف بى الظنون .

يا عبد أنا الدائم ولا تُخبر عنى الآباد وأنا الواحد ولا تشبهنى الأعداد .

كل شيء يطلبه ما منه (الجسد يطلبه التراب) وأنا الفرد المنفرد المتفرد .

لا أنا من شيء فيطلبنى ولا أنا بشيء فيتخصص بى (أنا مطلق ولست متعيناً) .

يقول الله لعبده :

إذا اجتمعت بسواى فتفرقت ما اجتمعت .

اجتمع بى تجتمع بمجتمع كل مجتمَع وتستمع بمستمع كل مستمَع فتحوى سواك فتخبر عنه ولا يحويك سواك فيخبر عنك .

الواقف فى حضرتى لا يروقه الحسن ولا يروعه الروع ، لأنه يرى الظاهر لا المظاهر . . يرى الجمال وليس الجميل . . يرى المطلق لا المقيد . . . يرى المجرد وليس المتعين .

وجهى للواقفين .

وأخبارى للعارفين .

تطهر للوقفة وإلا نفضتك .. لا يكن عليك سلطان من شىء ولا جاذب من سوى (مما سوى الله) .

فى الوقفة ترى السوِّى بمبلغ السُّوى فتخرج عنه .

القول يَصْرِف إلى الوجد والوجد بالقول يَصْرِف إلى المواجيد بالمقولات والمواجيد بالمقولات كفر على حكم التعريف .

حكم الأقوال هو حكم الجدال والبلبال وحكم الجدال والبلبال هو حكم المحال والزلزال .

الأسماء والصفات والأفعال حجب على الذات الإلهية لأن الذات الإلهية لا تقبل التحديد . . الذات الإلهية فى صُرافة العلو والتجريد والأسماء والصفات والأفعال تنزلات . . .

الأسماء لا فعل لها بذاتها وإنما هى تفعل بذات الله . . وإنما شأنها شأن الأدوات والآلات . . والحروف فى الجنة هى أدوات الملائكة تبنى بها القصور وتفجر الينابيع وتخلق المآكل والمشارب . . . والحرف هو مقام الملائكة لا تستطيع أن تتجاوزه أما الإنسان فيستطيع أن يتجاوزه ويخرج منه ليصل إلى مقام الجوار والشهود للذات الإلهية الخالصة .

يقول الله لعبده :

الحرف يعجز عن أن يخبر عن نفسه فكيف يخبر عنى .

أنا خالق الحرف والحروف (ما يخبر عنه الحرف) .

جعلت من الحروف . . . أسماء ولغات وعبارات ليتكلم بها عالم الأكوان ولكنى أنا المكون وأنا فوق كل ما خلقت ولا حكم للحروف علىَّ ولا مطّلع لها على ذاتى .

كلمت الحرف بلسان الحرف فلا اللسان شهدني ولا الحرف عرفني .

من أحببته من خلانى وأحبائى كلمته بلا عبارة فخاطبه الحَجر والمدر وقال للشيء كن فيكون . . . ولو أنى كلمته بعبارة لردته العبارة إلى نفسه بما عبرت وعما عبرت ولاحتجب بارتداده ولما جاءته الحكومة ومقاليد الفعل والسلطان .

يقول الله للعارف .

ألق عنك كل ما بدا من جواذب الإغراء . . اخرج من علمك وعملك ومعرفتك وصفتك ونفسك واسمك . . . اخرج عن الحرف والحروف . . وألق العبارة وراء ظهرك وألق المعنى وراء العبارة وألق الوجد وراء المعنى وادخل إلى وحدك ترنى وحدى (وهو الشهود بالقلب الذى ذكرناه فى مقدمة الكتاب وهو يحتاج إلى التجرد الكامل فيخرج السالك من علمه وعمله وصفته ونفسه واسمه بمعنى أن يخرج من الغرور فلا يقول أنا فلان الذى عملت كذا أنا العارف العالم صاحب المؤلفات . يخرج حتى من سحر اللفظ وفتنة العبارة . . يخرج من غرائزه وشهواته ورغائبه . . يخرج من عاداته . . ويرد كل ما هو فيه من فضل إلى الله . . ويتبرأ من جاهه وحوله وطوله . وهو التجرد الواجب للدخول إلى حضرة الله . .

وهو درب من المجاهدات الروحية لا يقدر عليها إلا أصحابها) .

يقول الله للعارف .

لو وقفتَ عند الحروف واستهوتك أسرارها واشتغلتَ بطلاسمها لتتسلط على الناس كتبتك من السحرة الذين لا يفلحون ومن عُبَّاد الحرف الذين أشركوا بى وعبدوا الحرف من دونى وطلبوا الاسم من دونى .

اطلاعى لك على سر الحروف هو البلاء كل البلاء .

تعرف سر الحروف وأنت فى بشريتك يختبل عقلك .

تعرف سر الأسماء وأنت فى بشريتك يختبل قلبك .

يا عبد لا إذن لك ثم لا إذن لك ثم سبعون مرة لا إذن لك أن تبوح بما استودعتك من أسرار حروفى وأسمائى . . ولا كيف تدخل إلى خزانتى ولا كيف تقتبس من الحرف حرفاً بعزتى وجبروتى . . ولا كيف ترانى .

معنى الآية « إن إلى ربك المنتهى »

يقول الله لعبده :

يا عبد حصلت على كل شيء فأين غناك .

فاتك كل شيء فأين فقرك .

أعذتك من النار فأين سكينتك .

أظفرتك بالجنة فأين نعيمك .

إنما أنا سكنك وعندى مقرك وبين يدى موقفك لو علمت .

أنا المنتهى . .

وليس دون المنتهى راحة . .

خلقتك لى . . لجمعيتى . . لتكون موضع نظرى وأكون موضع نظرك لا أرضى بمثواك فى ذكر أو عبادة فأنصبها لك أبواباً وطرقاً أوصلك منها إلى رؤيتى (وفى هذه الكلمات تفسير للكدح إلى الله . . « يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ » . . حيث لا قرار ولا راحة إلا عنده وما عدا ذلك هو الكدح .

معنى الإسلام

يقول الله لعبده .

هو أن تُسْلم إلىّ بقلبك وتُسْلم إلى الوسائط بدنك .

أن تكون معى بهمك ومع سواى بعقلك . . فتكون دائماً مجموع الهم علىّ لاحظ لغيرى فيك إلا حضورك معه بعقلك فقط . . فلا تأس على ما فاتك ولا تفرح بما آتاك ولا تغضب ممن أساءك ولا تَزْهُ بنجاحك ولا تفتخر بمكانك ولا تتكبر بعلمك . ولا تغترّ بنعمتى ولا تيأس لبلائى . . ولا تستفزك المستفزات من دونى .

هو أن تمضى لما أمرتك دون أن تُعقّب فيكون شأنك شأن ملائكة العزائم .

إن انتظرت لأمرى علمك لأمرى فقد عصيت أمرى .

كلمة أنا لا يقولها إلا كل صاحب غفلة وكل من كان محجوباً عن الحقيقة .

تقول « أنا » وأنت محجوب عنى وأنت منصرف إلى الدنيا تتخطفك الأشياء كل منها يدعوك إلى ذاته وأنت فى غيبة عنى .

فإذا رأيتنى وإذا بدوت لك فلا أنا إلا أنا .

جعلت لكل شيء وجهاً وجعلت وجهك « حبك لنفسك » وهو ما أورثك وهم الأنا والأنانية . . وما الذات إلا لى وما الأنا إلا لى . . أنا الذى هو أنا . . أما حقيقتك فهى ليست بذات ولا موضوع . . وإنما أنت واقع فى هذه القسمة الوهمية بسبب طريقتك فى التفكير والإدراك التى تقسم كل شيء إلى نفس مدركة وموضوع مدرك فأنت فى كل لحظة مزدوج . . أنت فى كل لحظة منقسم إلى شاهد ومشهود . . إلى نفس مدركة وموضوع مدرك . . أما حقيقتك فمتوارية خلف هذا الازدواج متعالية عليه . . فأنت لست بذات ولا موضوع وإنما أنت روح من روحى لا نسبة لك إلا إلىّ . . وأنت لا تكتشف هذه الحقيقة

إلا حينما يرتفع عنك الغطاء لحظة رؤيتى فتموت عن نفسك المزدوجة الوهمية وتصحو على حقيقتك وتجد نفسك الحقيقية التى ليست بذات ولا موضوع وإنما محض روح بسيطة جوهر فرد متعال على الانقسام لا نسبة له إلا إلىّ . . فأنت لا تعود تقول أنا . . وإنما تقول أنت ربى . . وقد علمت أن الا أنا لى وأنك عبدى .

يقول الله للعارف .

يا عبدى إذا رأيتنى فلا أنت . . وإذا لا أنت فلا طلب وإذا لا طلب فلا سبب وإذا لا سبب فلا نسب وإذا لا نسب فلا حجبة .

العلم

العلم هو إدراك الجزئيات فى حركتها وسيرها وقوانينها .

وهو علم بالمقادير والكميات والعلاقات .

ولكن العلم عاجز عن إدراك الماهيات والحقائق النهائية وهو فى هذا المقام أداة ناقصة مضللة .

يقول الإمام النفرى .

العلم حجاب على المعلوم .

والعالم محتجب باليقظة كما أن الجاهل محتجب بالغفلة . . لأن العلم يشتت عقل العالم بين أجزاء ووجهات نظر .

العلم ذو طرقات والطرقات ذوات فجاج والفجاج ذوات مخارج والمخارج ذوات اختلاف والاختلاف متاهة . . والعقل إذا درى رجح بين احتمالات ووقع فى المختلفات .

ويقول له الله فى مخاطباته .

العالم مزدوج . . والعارف مزدوج . . والواقف فرد . . لأن العالم مقسوم بين ذات وموضوع بين شاهد ومشهود . . أما الواقف فى حضرتى

فهو فرد . . لأنه فنى عن هذا الازدواج وارتد إلى نفسه فى بساطتها ووحدتها .

ومنتهى العلم أن يرد العقل جميع الجزئيات وجميع الظواهر إلى الواحد إلى الله خالقها . . ومن ثم تبدأ معرفته فيسمى عارفاً . . والمعرفة عند الصوفى أرقى من العلم . . لأنها معرفة الله . . معرفة الواحد فى صفاته وأسمائه وأفعاله وتقديسه وتنزيهه .

يقول الله .

يا عبد إن يخرجك العلم عن العلم فأنت فى طريقك إلى معرفة ، وإن لم تدخل بالعلم إلا فى علم فأنت فى حجاب من علم .

ومنتهى المعرفة أن يدرك العارف حيرته وجهله أمام الذات الإلهية وكنهها وماهيتها ، ويكتشف أن العجز عن إدراكها هو عين إدراكها . . وأن الجهل هنا هو منتهى المعرفة للذى ليس كمثله شيء .

ويقول الصوفى إن حجاب الجهل هذا هو حجاب أصيل لا يهتك عن الذات الإلهية إلا بقيام الساعة حينما يرى العبد ربه رؤية عين أما قبل ذلك فلا يمكن رؤية الله جهرة . . وكل حظ العابد أن يشهد الله فى آثاره وآياته وحكمته وتدبيره ودقائق قدره (وهى رؤية العقل والبصيرة) أو يرى نوره بالقلب .

أما الذات فتظل مسربلة بالغيب المطلق .

وحينما يصل العابد إلى منتهى المعرفة ويدرك جهله أمام الذات وعجز جميع وسائله يبدأ آخر مراحل هجرته إلى الله بالتجرد من هذه الوسائل والخروج منها . فهو يخرج من كل ما يبدو مما سوى الله . . . يخرج عن علمه وعمله ومعرفته ونفسه وصفته واسمه ويخرج عن الحرف والعبارة

وما يعبر عنه الحرف والعبارة .

وهذا التجرد هو باب الرؤية والمدخل إلى الحضرة والوقفة والشهود فيزج به فى أنوار لا تبقى ولا تذر . . وهو ما يصفه الصوفى بأنها « رؤية قلبية » للذات متلفعة ومحجوبة بأنوارها وهو بدو وظهور يصاحبه اختفاء كل شىء وحالة من المحو التام . . لا شىء سوى النور .

والنور ليس الذات وإنما آية من آياتها وحجاب من حجبها واسم من أسمائها .

والأسماء حجاب على المسمى .

وهذا غير الرؤية العينية . فالرؤية العينية لا يمكن أن تحدث فى الدنيا وهى مما لا يستطيعه إنسان فى صورته البشرية . . وهى التى خرَّ لها موسى صعقاً ودكَّ لها الجبل دكًّا فى القرآن .

قال مُوسَى رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ .

« قالَ لَنْ تَرانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً . فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ » ولم يصعق موسى لرؤية الذات وإنما لرؤية تجليها على شىء آخر هو الجبل . . مجرد تجليها . . ولك أن تتصور ماذا كان يمكن أن يحدث له لو رأى الذات . .

* *

والعلم البشرى علم له ضد لأن كل وجهة نظر تثير فى الذهن نقيضها .

والجهل البشرى جهل له ضد .

أما العلم الربانى اللَّدُنِّى فهو علم يقينى ليس له ضد وكذلك الجهل

العرفانى فهو جهل أصلى ليس له ضد لأن الجهل بالذات الإلهية حقيقة نهائية لا ضد لها . . إذ أن الله سبحانه مجهول الهوية ليس كمثله شىء وهى صفة ذاتية له على وجه الأصالة .

يقول الله لعبده .

اخرج من العلم الذى ضده الجهل اخرج من المعرفة التى ضدها النكرة . . تستقر فيما تعرف .

العلم الذى ضده الجهل هو علم الحرف . . والجهل الذى ضده العلم هو جهل الحرف .

اخرج من الحرف تعلم علماً لا ضد له هو العلم الربانى وتجهل جهلاً لا ضد له هو الجهل العرفانى .

إذا علمتَ علماً لا ضد له وجهلت جهلاً لا ضد له فلستَ من الأرض ولا من السماء .

إذا لم تكن من أهل الأرض لم أستعملك بأعمال أهل الأرض .

وإذا لم تكن من أهل السماء لم أستعملك بأعمال أهل السماء .

أعمال أهل الأرض الحرص والغفلة وهى تعبدهم لنفوسهم ولكل ما بدا فى دنياهم والجرى وراءها والركون إلى متاعها .

وأعمال أهل السماء الذكر والتعظيم وهو تعبدهم لربهم وسكونهم إليه .

والعبادة هى الحجاب القريب الذى أنا من ورائه محتجب بوصف العزة .

والغفلة هى الحجاب البعيد الذى أنا من ورائه محتجب بجميع من خلقت من أشياء ومغريات .

يقول الله لعبده المقرب .

أليس إرسالى إليك العلوم من جهة قلبك إخراجاً لك من العموم إلى الخصوص .

ألست إذا أمرتك بطرح ما أبديه لك من علوم ومعارف غيرة عليك ولأستخلصك لنفسى ، هو إخراج لك من المعرفة إلى الإشهاد ومن الخصوص إلى خاصة الخصوص ، لتكون لى كما أنا لك ، لأكون موضع نظرك كما أنت موضع نظرى ليس بينى وبينك شىء لا اسمى ولا اسمك ولا علومى ولا علومك .

أَوْدِعنى اسمك حتى أَلقاك أنا به ولا تجعل بينى وبينك اسماً ولا علماً ولا معرفة فلحضرتي بنيتك لا للحجاب .. فى حضرتى لا يستطيعك شىء لأن معك سلطانى وقوتى ولأنك تلينى وكل شىء مما أبديه يأتى بعدك .

***

أَوقفنى فى البحر فرأيت المراكب تغرق والألواح تسلم .. ثم غرقت الألواح .. وقال لى لا يسلم من ركب .. كل ذى عدة مهزوم .

قال لى لا تركب البحر فأحجبك بالآلة ولا تلق نفسك فيه فأُحجبك به .

وقال لى إذا وهبت نفسك للبحر فغرقت فيه كنت كدابة من دوابه .

وقال لى إن هلكت فى سواى كنت لما هلكت فيه (وهذا مصداق للحديث الشريف .. من كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرتـه لامرأة ينكحهـا أو دنيـا يصيبهـا فهجرتـه لمـا هاجر إليه) .

***

ادخل إلىّ وحدك

اعمل ولا تنظر إلى العمل .

تصدق ولا تنظر إلى الصدقة .

إنك لا ترى أعمالك وإن كانت حسنة أهلا لنظرى فلا تدخل بها إلىّ .

إنك إن جئتنى بالعمل جئتك بالمحاسبة . . . وإن جئتنى بالعلم جئتك بالمطالبة . . . وإن جئتنى بالمعرفة جئتك بالحجة وحجتى ألزم .

ألق الاختيار ألق المؤاخذة البتة .

اخرج من علمك وعملك ومعرفتك وصفتك واسمك ومن كل ما بدا لتلقنى وحدك .

إن لقيتنى وبينى وبينك شىء مما بدا لقيتك وبينى وبينك شىء مما بدا وأنا أحق بما بدا فأنا الذى خلقته وقد تخليت عنه حبًّا فى قربك فلا تلقنى به فليس حسنة منك .

ولو علمتَ لفارقْتَ الملائكة عند الدخول على حتى ولو كانوا أولياءك لأنك لا تتخذ وليًّا غيرى .

لا تخرج من بيتك إلا إلى رضاى تكن فى ذمتى وأكن دليلك .

القنى وحدك مرة أو مرتين كل يوم وفى إدبار الصلوات أحفظ لك ليلك وأحفظ لك نهارك وأحفظ لك قلبك وأحفظ لك همك وأحفظ لك عزمك . .

أتدرى كيف تلقانى وحدك . . أن ترى هدايتى لك بفضلى لا أن ترى عملك وأن ترى عفوى لا أن ترى علمك .

رد علىَّ علمك وعملك آخذه بيدى وأُثمِّره ببركتى وأزيد فيه بكرمى .

***

إذا جاءك القلم ليقول لك اتبعنى فأنا عندى العلم .. واسمع منى فأنا الذى أسطر الأسرار .. وسلم إلىَّ فلن تجاوزنى ولن تدركنى .. فقل له .. عنى يا قلم .. أبدانى من أبداك ، وأجرانى من أجراك ، وخلقنى من خلقك .. وأنا منه أسمع لا منك وله أسلم لا لك .. إن سمعت منك ظفرت بالحجاب وإن سلَّمت لك ظفرت بالعجز وإن تبعتك وقعت فى الحدود وتفرقت فى الجهات .

وإذا جاءك العرش بعظمته وبهائه وملائكته المسبحة ليدعوك إلى نفسه .. فقل له عنى يا عرش .. موقفى ليس عندك ولا مقامى حولك .. وإنما موقفى عند الله الذى خلقك وهو أعظم منك فى مجال العظمة وبهاؤه أحسن من بهائك فى رتبة الزينة .. فأنت قائم به محتاج إليه مفتقر إلى إمداده .. أما هو فقائم بذاته جماله منه وبهاؤه منه وعظمته منه لا من سواه .

إذا أردت ألا يخطر بك سواى وإذا أردت أن تخرج عن كل ما بدا فأقم فى « النفى » فى عتبة لا .. لا إله إلا الله .. واعلم أن النفى لا يكون

إلا بى .. كما أن الإثبات لا يكون إلا بى .. وإنى أنا الذى سوف أنفيك بفضلى عن « السوى » وسوف أثبتك بنعمتى فى جوارى وعنديتى .

قف فى حضرتى لا لتسمع منى ولا لتعرف منى ولا لأخاطبك وتخاطبنى وإنما لأنظر إليك وتنظر إلى .. فلا تزال فى هذا الموقف حتى أحادثك .. فإذا حادثتك فابك على ما فاتك من خطابى فى غابر عمرك .

إذا وقفت فى حضرتى لا تخرج عن مقامك حتى لو جاءك فى رؤيتى هدم السماوات والأرض ما تزيلت .

إذا عرفت كيف تقف بين يدىّ لذاتى ووجهى وليس لأى غرض من محادثتى أو خطابى فقد عرفتَ جلال حضرتى .

ومن عرف جلال حضرتى حرَّمتُه على سواى وجعلته من أهل صيانتى .

إذا جاءك الوارد (الخاطر الربانى) فقل يا من أورد الوارد أشهدنى ملكوت بِرِّك فى ذكرك وأذقنى حنان ذكرك فى إشهادك .

الغيبة والرؤية والشهود

الغيبة هى الغفلة وهى إحساس السواد من الناس من أهل الدنيا . . وهى أن تنظر إلى الشىء فى ذاته وتتخطفك الأشياء كل منها يدعوك إلى ذاته فتتوزع بينها وتتشتت ، ويغيب عنك الواحد القيُّوم الذى تقوم به . . ولا ترى شيئاً غيرها وتتهافت عليها لتتملكها . . أو تحذرها . . وتخافها . . وتتملقها .

أما الرؤية فهى أن ترى الله فى الأشياء فتراها عاجزة بذواتها . . قليلة الحيلة . . مفتقرة . . وجودها مستعار من الله الذى أقامها . . . فتعجز عن أن تدعوك بذواتها وتعجز عن أن تقسمك وتشتتك وتغريك . . وإنما الله يجمع همك عليه هو سبحانه من خلالها . . . وظهوره فيها يمحو ذواتها وذاتيتها .

أما الشهود فهو المحو بالفعل فى غمر النور الإلهى وهو ما أسميناه بالشهود بالقلب .

الحجب

الحجب على الذات الإلهية خمسة . . حجاب أعيان (الأعيان هى كل ما خلق الله من مخلوقات) . . وحجاب علوم . . وحجاب حروف . . وحجاب أسماء . . وحجاب جهل . .

الدنيا والآخرة وما فيهما من خلق حجاب أعيان وكل عين من ذلك حجاب على نفسها وحجاب على غيرها . . وحجاب العلوم مردود إلى حجاب الأعيان فهو بحث فيها وفى قوانينها . . وحجاب الحروف هو الحجاب الحكمى . . والأسماء حجاب على المسمى . . وحجاب الجهل هو الحجاب الأخير الذى لا يهتك إلا بقيام الساعة .

مايقوله الله لعبده

- يا عبد إذا ضيعتَ حكمة ما تعلم فما تصنع بعلم ما تجهل .
- يا عبد الحزن عليَّ هو الحزن بحق (إن ضيعتنى فقد ضيعت ما لا عوض عنه) .
- يا عبد لولا صمودى ما صمدت ولولا دوامى ما دمت .
- يا عبد أنا أولى بك مما أبدى وأنت أولى بى مما أخفى .
- علامة مغفرتى فى البلاء أن أجعله سبباً لعلم .
- عذرت من أجهلته بالجهل ، مكرت بمن أجهلته بالعلم .
- يا عبد لو أعلمتك ما فى الرؤية لحزنت على دخول الجنة .
- يا عبد من رآنى جاز النطق والصمت وجاز العلم والجهل وجاز الحديَّة .
- يا عبد قم إلىَّ أعطك ما تسأل ، لا تقم إلى ما تسأل أحتجب ولا أعطى .
- أنا يُستدل بى ولا يُستدل علىَّ (لأنى أنا الحقيقة أنا البرهان الذى أبرهن على الأشياء ولا تستطيع هى أن تبرهن علىّ) .

- من علامات اليقين الثبات ومن علامات الثبات الأمن فى الروع .
- من عبدنى من أجل وجهى دام ، ومن عبدنى خوفاً من عقابى فَتَر ، ومن عبدنى طمعاً فى نعمتى انقطع .
- إن أكلتَ من يدى لم تطعْكَ جوارحك فى معصيتى .
- يا عبد سد باب قلبك الذى يدخل منه سواى لأن قلبك بيتى ، وقم رقيباً على السد وأقم فيه حتى نلتقى ، فبى أقسمت ، وبجلال ثنائى فى كرم آلائى حلفت أن البيوت التى تبنى على السد (أى التى لا يدخلها سواى) بيوتى وأن أهلها أهلى وأعزتى .
- اجعل ذنبك تحت رجليك واجعل حسنتك تحت ذنبك .
- الحرف حرفى والعلم علمى وأنت عبدى لا عبد حرفى ولا عبد علمى .
- يا عبد لا تقف فى الجهة فتصرفك إلى الجهات ، ولا تقف فى العلم فيصرفك إلى المعلومات ، ولا تخرج عن حضرتى فتخطفك البادیات .
- يا عبد إن أخذك اسمى أسلمك إلى اسمك ، وإن أخذك وصفى أسلمك إلى وصفك وإن أخذك سواى فإلى نفسك يسلمك ، وإن أخذتك نفسك فإلى عدوك تسلمك .
- يا عبد قف بى (كن فى حالة حضور معى) فإذا وقفت فنطقت فأنا الناطق وإذا حكمت فأنا الحاكم .
- الحرف والمحروف دهليز إلى العلم والعلم دهليز إلى المعرفة والمعرفة دهليز إلى الاسم والاسم دهليز إلى المسمى . (أى اجعل من العلم دابتك لا موقفك فأنا المنتهى الذى تنتهى إليه الطرقات والغايات

والعلم وسيلة إلىّ وليس غاية ولا موقفاً) .

٭ يا عبد أجبت كل من يدعوك ولا تجيبنى ؟ ! !

يا عبد علق بى مقالك تتعلق بى فعالك ، علق بى فعالك يدأب فى عبادتى خيالك وينشغل قلبك وباطنك . يا عبد سلّم إلىّ أفتح لك باباً للتعلق بى .

٭ يا عبد لا تيأس منى فتبرأ منك ذمتى .. كيف تيأس منى وفى قلبك سفيرى ومُتحدثى .

٭ أهل المقامات منى لا يريدون ولا يعتادون ولا يألفون .

٭ إذا جاء نورى يوم القيامة جاءت كل نفس ترومه ، فإن كانت به فى الدنيا ألحقتها وإن لم تكن به فى الدنيا حجبتها عنه فاتبعت ما كانت قبل تتبع وظلت فيما كانت فيه تظل .

٭ يا عبد إذا أقمت عندى جزت الكونية ، فما أتاك فلن تفرح به وما فاتك فلن تأسى عليه . (لأنك أصبحت عند المكوِّن فاستغنيت عن الكون) .

٭ يا عبد إذا اعترضت عليك نفسك فردها هى واعتراضها إلى .

٭ يا عبد إنى جعلت لكل شيء عزة لتخطفك عنك فتستنجد بى فأريك عزتى فاجمعك بعزتى علىّ .

٭ يا عبد إنى أنا الله جعلت فى كل شيء عجزاً وجعلت فى كل عجز فقراً .

٭ عبدى الذى هو عبدى هو الغضبان لى على نفسه لا يرضى . عبدى الذى هو عبدى هو المستقر فى ذكرى فلا ينسى .

٭ اجعل التراجم والحروف آلة من آلات معرفتك ومركباً من مراكب نطقك .

٭ يا عبد لا تنفقنى على شيء فما الشيء بعوض عنى .

٭ يا عبد لا تكن بالفانيات (لا تكن الدنيا همك) فتنحسر عنك يوم الروع ، فتنوح لفقد ما كنت به فتدخل فى جملة أهل الفزع . . يا عبد كن لى فى كل حال أرسل عليك يوم أبدو علامة تثبتك فلا تروعك الأرواع ولا تفزعك الأفزاع .

٭ يا عبد ما فى مقامى قول أدعو إليه ولا فعل أدعو إليه .

٭ يا عبد أخرج قلبك من المؤتلف تخرج من المختلف . المؤتلف كل ما سلمت عقباه والمختلف كل ما هلكت عقباه .

٭ يا عبد لن تعرفنى حتى ترانى أوتى الدنيا أرغد وأهنأ ما عرفت من الدنيا لعبد عصى . . فترضى بما زويت عنك وتعلم أنى زويت عنك إعراضى وزويت حجابى . يا عبد ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى أين أنت وأين أهل الدنيا .

٭ الواقف بين يدى . . يداه فوق متون السماء والأرض ، وفوق الجنة والنار لا يلتفت إلى كل هذا فأنا حسبه . . لا ترجع مراجع معرفته إلا إلى ولا يقف علمه وخواطره إلا بين يدى .

٭ يا عبد اهدم ما بنيته بيدك قبل أن أهدمه بيدى .

٭ أنت عبد ما استولى عليك .

٭ يا عبد إن لم تنظر إلىّ فى الشيء نظرت إليه فكنت غافلاً .

٭ يا عبد إذا رأيتنى فى الضدين رؤية واحدة فقد اصطفيتك لنفسى .

- يا عبد ألا تلمس حتى فى إضعافى إياك عن الضعيف وتقويتى إياك على القوى ؟ . .
- يا عبد لا تصح المحادثة إلا بين ناطق وصامت (أى اصمت لتسمعنى) .
- يا عبد رمزت الرموز فانتهت إلىّ ، وأفصحت الفواصح فانتهت إلىّ .
- يا عبد انظر إلى ما به صَلُحت تلك قيمتك عندى .
- الرؤيا علم الإدامة فاتبعه تغلب على الضدية .
- يا عبد لا تطمئن إلى سواى ثم تعود فتقبل علىّ أردك إليه .
- لأن تعاف الدنيا خير من أن تتعبد للآخرة .
- بيتك منى فى الآخرة كقلبك منى فى الدنيا .
- نم وأنت ترانى أتوفّكَ وأنت ترانى .
- استيقظ وأنت ترانى أحشرك وأنت ترانى .
- يا عبد الداء والدواء للغافل .
- لا أزال أردك بالحجبة ثم أفتح لك أبواب الطرق بالتوبة ذلك لأجوزك الحجاب وأرفعك إلى منتهى الأبواب .
- يا عبد ما أنا لشيء فيحوينى ولا أنت لشيء فيحويك . . إنما أنت لى إنما أنت بى . .
- يا عبد ما كل مُسفِر يُرى . . أنا الملك المسفِر بالكرم المحتجب بالعزة .
- انظر إلى كل شيء وأنت ترانى كيف تحكم فيه ولا يحكم فيك .
- يا عبد إذا عرض لك أمر فقل ربى ربى أقل لبيك لبيك .

- إذا رأيتنى ولم تر ما منى فقد رأيتنى .
- يا عبد إذا رأيتنى فأنت عندى وإذا لم ترنى فأنت عندك ، فكن عند من يأتى بخير .
- يا عبد أعززتك وأذللت لك كل شيء فلم أرض مقيلك فيه ضنة بك وإقبالاً عليك .
- يا عبد إذا رأيتنى فاهدم أوطارك فوعزتى لا يزول الخطر حتى يزول الوطر .
- إذا ما نفيت ما سواى لقيتنى بعدد ما خلقت حسنات .
- أنت عبد السِّوَى ما رأيت له أثراً . (وأثر أى شيء حُكمه) .
- من رآنى شهد أن الشيء لى ومن شهد أن الشيء لى لم يرتبط به . .
- ما ارتبطت بشيء حتى تراه لك من وجه ولو رأيته لى من كل وجه لم ترتبط به .
- يا عبد قل لبيك وسعديك والخير بك ومنك وإليك وبيديك .
- يا عبد اصحبنى إلىّ تصل إلىّ .
- يا عبد أَلق الاختيار أُلق المؤاخذة ألبتة .
- يا عبد إذا رأيتنى فالسِّوَى كله ذنب .
- يا عبد أحببتك فحللت فى معرفتك بكل شيء فعرفتنى وأنكرت كل شيء .
- يا عبد إذا رأيتنى فكن فى الغيبة كالجسر يعبر عليه كل شيء ولا يقف .
- يا عبد الاختلاف بسبب الضدية وما فى رؤيتى ضد .

- يا عبد إذا رأيتنى ضننت بك على الطرق إلىّ فلم أقمك بسواى بين يدى .
- يا عبد منتهى التدليل منى أن أكلمك بكلام آمرك بأن تكلمنى به . (يعنى بذلك آيات القرآن . . وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبره تكبيراً) .
- يا عبد أنا باعث الآراب (الأغراض والأوطار) فإذا أتتك فقل يا رب اكفنى رسلك .
- يا عبد إذا أسفرت لك انقطع السبب وإذا رأيتنى انقطع النسب .
- ابتليتك فى علمى بعلمك وابتليتك فى حكمى بحكمك .
- المعارف المتعلقة بالسوى (بسواى) نُكْر فى المعارف التى تتعلق بى .
- نُطق كل شىء حجابه إذا نطق .
- المعرفة الصمتية تحكم والمعرفة النطقية تدعو .
- أنا أقرب من أن يحسنى العلم وأبعد من أن يدركنى .
- أوقفنى بين يديه وقال لى . . هل ترى غيرى . . فقلت لا . . فقال . . لا ترانى إلا بين يدى . . وهو ذا تنصرف وترى غيرى ولا ترانى . . ؟ فإذا رأيته فلا تجحده واحفظ وصيتى فإنك إن ضيعتها كفرت . . وإذا قال لك أنا فصدقه فقد صدقته وإذا قال لك هو فكذبه فإنى قد كذبته .
- كشف لى عن وجه كل شىء (عن ذات كل شىء) فرأيته متعلقاً بوجهه وعن جسم كل شىء فرأيته متعلقاً بأمره ونهيه . . وقال لى انظر إلى وجهى فنظرت فقال . . ليس غيرى . . فقلت ليس

غيرك . . وقال انظر إلى وجهك فنظرت . . فقال . . ليس غيرك . . فقلت ليس غيرى . . فقال اخرج فأنت الفقيه . . فخرجت أسعى فى الفقه وصح لى قلب العين فقلبتها بالفقه وجئت بها إليه فقال . . لا أنظر إلى مصنوع . . (قلب العين هو القول إن عين الشىء أو ماهيته وذاته هى عين الله وهو أمر مصنوع ملفق لأنه صيغ فى حروف والحروف تلفيق للحقيقة لأن الحقيقة فوق الحروف وفوق محتوى الحروف . . وأقصى ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع إن ذات أى شىء متعلقة بذات الله ولكنها ليست هى هى عين الذات الإلهية وإلا نكون بذلك قد قلبنا العين ولفقنا الحقيقة . . « إنى خالقٌ بشراً من طين . فإذا سوَّيْتُه ونَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِين » . أى أن روح ابن آدم هى من روح الله . . هى نفخة من روح الله . . لها تعلق بذات الله ولكنها ليست هى هى . . لأن الذات الإلهية ليس كمثلها شىء) .

- يا عبد قل للعبيد لو رأيتموه يقبض ويبسط لبرئتم من أنسابكم ولعريتم من أحسابكم .
- يا عبد لا كلطف اللطف أثبت سِوَى ولا سِوَى . . ولا كعز العز أُفنى عن السوى فيما أُشهد سوى (كلمة سوى تعنى ما سوى الله) .
- يا عبد أنا الظاهر ولا ترانى العيون وأنا الباطن ولا تطيف بى الظنون

يا عبد أنا الدائم ولا تخبر عنى الآباد وأنا الواحد ولا تشبهنى الأعداد .

كل شىء يطلبه ما منه (الجسد يطلبه التراب والروح يطلبها خالقها) وأنا الفرد المنفرد المتفرد . . لا أنا من شىء فيطلبنى ولا أنا بشىء

فيتخصص بى (لست متعيناً متخصصاً بشىء بل مطلقاً دون تعين) .

- لن تحيط بصفة كلية من شيء (الجمال مثلاً) فتلك لى ولاحاطتى .
- العلم كله طرقات . . ما إلى المعرفة طريق ولا طرقات . . المعرفة مستقر الغايات ومنتهى النهايات . . إذا استقررت فى المعرفة كشفت لك عين اليقين بى فشهدتنى فغابت المعرفة وغبت عن نفسك وعن حكم المعرفة . . إذا لم تحكم عليك المعرفة فأنا الذى أحكم . . وقد أدركت بذلك مبلغ العلم ووجب عليك النطق فانتظر إذنى . . علامة إذنى لك فى النطق أن تشهد غضبى أن صمت وتشهد زوال غضبى أن نطقت (المعرفة دائماً ترد فى الكتاب على أنها أرقى من العلم لأنها إدراك للحقائق الكلية بينما العلم هو إدراك المسائل الجزئية . . أما الشهود فهو أرقى من الاثنين لأنه مكابدة الحقيقة ومباشرتها ومعاناتها بالقلب فهو رؤية والرؤية أعلى درجات اليقين) .
- رأيت طلب رضاه معصيته (الطلب من العادل معناه الشك فى عدله) فقال لى أطعنى فإذا أطعتنى فما أطعتنى ولا أطاعنى أحد . . فرأيت الوحدانية الحقيقية (طاعة الله من الله وبتوفيقه وجميع الأفعال لله ولا فضل لأحد فى فعله . . . له الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام . . السفن ملكه وإن كانت ملكنا فى الظاهر . . هو الذى بناها وإن كنا نحن الذين بنيناها فى الظاهر . . لكن بنيناها بعلمه وقوانينه وإلهامه . . كذلك ما أطاعه من أطاعه .

لأن الطاعة بفضله فى الأول والآخر وما لنا فعل . . وهذا هو التوحيد) .

- أوقفنى بين يديه وقال لى ما رضيتك لشيء ولا رضيت لك شيئاً . . سبحانك أنا أُسبحك (أى أنزهك عن التعلق بشىء) فلا تسبحنى (أى فلا تستطيع أن تسبحنى حق التسبيح) أنا أُفعِّلك فكيف تُفعِّلنى (أى أنا المتعال على التفعيل) .
- لا تقعد فى المزبلة فتهر عليك الكلاب ، واقعد فى القصر المصون وسد عليك الأبواب ، ولا يكون معك فان غيرك وإن طلعت شمس أو ترنم طائر فاستر وجهك عنه فإنك إن رأيت غيرى عبدته وإن رآك غيرى عبدك . . وإذا جئت إلىّ فهات الكل معك . (كن صاحب دعوة وانشر كلمة الحق بين الناس) وإلا لم أقبلك فإذا جئت به رددته عليك ولا تنفعك شفاعة الشافعين . (لا أقبلك إذا كان كل همك أن تخلص نفسك وإن تخص نفسك بالخير . . وإنما عليك أن تدعو إلى خلاص الآخرين وتكون صاحب رسالة بينهم . . وحذار . . فإنك إن أخطأت فى التبليغ أخذتك بذنبك وذنب من اتبعك ولا تنفعك شفاعة) .
- رأيت كل العيون تنظر إليه شاخصة فتراه فى كل شيء احتجب به فإذا أطرقت رأته فيها .
- المماليك فى الجنة والأحرار فى النار (أى المتوكلين الذين يشعرون أنهم مملوكون لله هم فى الجنة أما أصحاب دعوى الحرية وهم كل من تصور أن له حولاً وطولاً وأن له قدرة من دون الله فهو فى النار) .

• إن لم تجالس إلا نفسك جالستك .

• تموت ولا يموت ذكرى لك .

كرهت لك الموت فكرهته أنت أيضاً . . ألا أكره لأحبائى أن يفارقونى وإن لم أفارقهم .

• حسابك غلط والغلط لا يُملك به صواب . الحساب لا يصح إلا منى .

• هبك جئتنى بما أريد ورضيت . . كيف لك لو بلوتك بما لم أبتلك به وامتحنتك بما أهلكك . . ماذا كنت صانعاً . . إن لم تشعر بالحياء لهذا الخاطر فلن تشعر بالحياء أبداً .

• خلق لا يصلح لرب بحال .

• أنت فى كل شىء كرائحة الثوب فى الثوب .

أنت معنى الكون كله .

أنت الكتاب الجامع والكون صفحاتك .

• غرت عليك فنهيتك .

• قل للمستوحش منى الوحشة منك أنا خير لك من كل شىء .

• إن رأيتنى فيك كما رأيتنى فى كل شىء قلَّ حبك للدنيا .

• أنا وشىء لا نجتمع . . أنت وشىء لا تجتمع .

• أى عيش لك فى الدنيا بعد ظهورى .

يوم الموت يوم العرس يوم الخلود يوم الأنس .

• أغريتك بى حينما لم أجعلك واثقاً من عمرك .

• ما بينى وبينك لا يُعلم فيطلب .

• أوقفنى فى الوحدانية وقال لى . . أظهرت كل شىء يدل علىَّ ويكشف عنى كما جعلته فى ذات الوقت يدعو إلى نفسه ويحجب عنى ، فحظ كل إنسان من الحجبة كحظه من التعلق . . ذكرى أخص ما أظهرت وذكرى كشف كما أنه حجاب . . إذا بدوت لم تر من هذا كله شيئاً .

• قل رب لا تَذَرْنى بمذراة الحروف فى معرفتك (لأن الحروف تشتت وتبعثر العقل كالمذراة) .

• يسوؤك كل ما منك أغفره .

لا يسوؤك كل ما منى أصرف السوء كله .

إن التزمت ما ألزمتك بين هذين كنت وليًّا .

• إن لم تكن من أهل الحضرة جاءك الخاطر وكل « السوى » خاطر فلم ينفعه إلا العلم والعلم أضداد ولا تخلص إلا بالجهاد ولا جهاد إلا بى ولا علم إلا بى فقف بى تكن من أهل حضرتى .

• أوقفنى فى الاختيار وقال لى كلهم مرضى . . هو ذا يدخل الطب عليهم بالغداة والعشى ، وأخاطبهم أنا على ألسنة الطب والأطباء ، ويعلمون أنى أنا أكلمهم ويؤمنون بالطب ولا يؤمنون بى ، ويصومون للطب ولا يصومون لى .

• لا بد أن أتعرف إليك وتعرفى إليك بلاء . . وأنا لا أزول أنا أصل البلاء . . معرفتك بالبلاء بلاء وإنكارك للبلاء بلاء . . ولا مهرب من البلاء لأنه لا مهرب منى .

• أوقفنى فى العهد وقال لى أَخْرِج ذنبك على عفوى ، وألق حسنتك على فضلى ، اترك علمك إلى علمى وألق معرفتك إلى معرفتى . .

وقف بى . . إذا وقفت بى تعرض لك كل شىء لإغرائك وجذبك وحجبك . . فإذا كنت عندى فأنا معك . . ومن تعرض لك فقد تعرض لى .

* بشرتك بالعفو فاعمل به على الوجد بى .
* من عرفنى فلا عيش له إلا فى معرفتى .

إذا عرفتنى فخف مكرى . . تعرف مكرى من غيرتى . . إذا رأيتها تحوشك إلىّ وإلى سبيلى فقد قر قرار حكمتك وأنار هدى هدايتك تمسك بها وَاصَلَك من واصل وجانبك من جانب فهى دليلى الذى لا يتيه وتدبيرى الذى لا يحيد .

* أول المشاهدة نفى الخاطر وآخرها نفى المعرفة ثم نفى النفس العارفة ثم نفى الـ أنا .
* انصرنى تكن من أصحابى .

إن أردتك لنصرتى لم أوجدك قوة إلا من نصرتى .

إذا أردتك لنصرتى علمتك من علمى .

إنما يقف فى ظل عرشى أنصارى .

يا عارف انصرنى وإلا أنكرتنى .

* تتعلم العلم تباهى به العلماء وتمارى السفهاء وتجتاز المجالس وتصيب الدنيا . . النار . . النار .
* ارتعدت السماوات والأرض من نار العذاب وارتعدت، نار العذاب من نار الاستتار . (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) .
* إن خرجت من طبعك ومن صفتك ومن عملك ومن علمك . .

خرجت من اسمك وإن خرجت من اسمك وقعت فى اسمى ، (رمزاً للقرب منى) وإذا وقعت فى اسمى ظهرت عليك علامة الإنكار (لشعورك بالغربة من كل شىء) ، فتعرض كل شىء لفتنتك وتراءى كل خاطر لقلبك . . الآن من تعرض بك فقد تعرض بى .

* انظر إلى ما به تسكن فإنه مضاجعك فى قبرك .
* من علوم القرب أن تعلم احتجابى بوصف تعرفه .
* من قام فى مقام معرفتى فخرج منه وعرف الوجد بى فخرج منه مستقرًّا بخروجه أوقدت له ناراً مفردة .
* من علوم الرؤية أن تشهد صمت الكل وعجز الكل ، ومن علوم الحجاب أن تشهد نطق الكل وقدرة الكل .
* أوصافى التى تحملها العبارة أوصافك بمعنى وأوصافى التى لا تحملها العبارة لا هى أوصافك ولا من أوصافك . . إذا كلمتك بعبارة لم تأت منك الحكومة (لا توهب مقاليد الفعل) ، لأن العبارة تردك إليك بما عبرت وعما عبرت . . أما إذا كلمتك بلا عبارة خاطبك الحجر والمدر وقلت للشىء كن فيكون .
* العبارة حرف ولا حكم لحرف .

تعرف إليك بعبارة توطئة لتعرفى إليك بلا عبارة . الأفكار فى الحرف والخواطر فى الأفكار وذكرى الخالص من وراء الحرف والأفكار .

* لن تلقى فى موتك إلا ما لقيته فى حياتك (وَمَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) .

* آية معرفتى ألا تسألنى عنى ولا عن معرفتى . (لأنك تعلم أنى أنا الذى ليس كمثله شىء) .
* إن دعاك سواى فلا تسمع له وإن دعاك بآياتى . . ولا تحضره وإن حضرك بآياتى – فإنى خلقت كل شىء يدعـــو لنفسه ويحجب عنى .
* رِدْنى تدوم بى وتنقطع عنك (وإلى ربِّكَ فارْغَب) .
* إذا هجمت على قلبك ولم يهجم عليك قلبك فأنت من العارفين (وهو التحكم التام فى عواطفك وخواطرك فتسيطر عليها قبل أن تسيطر عليك) .
* كيف لا تحزن قلوب العارفين وهى ترانى أنظر إلى العمل فأقول لسيئه كن صورة تلقى بها عاملك وأقول لحسنه كن صورة تلقى بها عاملك .
* وزن معرفتك كوزن ندمك .
* قلوب العارفين ترى الأبد وعيونهم ترى المواقيت .
* قل لقلوب العارفين أنصتوا لا لتعرفوا واصمتوا لا لتعرفوا، فإنه يتعرف عليكم كيف تقيمون عنده .
* قل لقلوب العارفين لا تخرجى عن حالك وإن هديت من ضل أتضلين عنى وتريدين أن تهدى إلى .
* قل يارب أسألك بك . . ما قدر مسألة أن يناجى بها كرمك .
* يا مختلف لا تستدل بمختلف فإنه إذا دلك جمعك معك من وجه وإذا لم يدلك تفرقت باختلافك من كل وجه .

* بقى علم بقى خطر بقى قلب بقى خطر بقى عقل بقى خطر بقى هم بقى خطر .
* الحرف فج من فجاج إبليس .
* قد رأيت الأبد ولا عبارة فى الأبد .

الأبد وصف من أوصافى .

سبَّح لى الأبد فخلقت من تسبيحه الليل والنهار وجعلتهما سترين ممدودين على الأبصار والأفكار وعلى الأفئدة والأسرار . . وقد اصطفيتك فرفعت السترين لترانى . . فأقويك على رؤية السماء وهى تنفطر وعلى رؤية ما يتنزل منها كيف يتنزل ولترى كيف يأتى من عندى كما يأتى الليل والنهار .

* قد عرفتنى وعرفت آيتى ومن عرف آيتى برئت منه ذمة العذر ، فإذا جلست فاجعل آيتى من حولك ولا تخرج عنها فتخرج من حصنى . (الآية المقصودة هى غالباً كلمة التوحيد . . إنَّهُ لا إلَهَ إلا الله . . ويروى عنها زين العابدين هذا الحديث القدسى . . لا إله إلا الله حصنى . . فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن عذابى . . والقول المراد هو قول اللسان والقلب والفعل والسلوك . . أن يعيش الإنسان بإيمان أنه لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا به ولا فعل إلا به . . فيكون هذا الإيمان هو حصنه) .
* أدب الأولياء ألا يتولوا شيئاً بهمومهم وإن تولوه بعقولهم .
* إذا جاءتك دواعى نفسك ولم ترنى فقد جاءك لسان من ألسنة نارى ، فافعل كما يفعل أوليائى أفعل بك كما أفعل بأوليائى . . قل اللهم

هذا بلاؤك فالطف بى وارحمنى .

• الواقف بحضرتى يرى المعرفة أصناماً ويرى العلم أزلاماً .

• العلم المستقر هو الجهل المستقر .

• طهور الجسم الماء وطهور القلب الغض عن السوى (كل ما سوى الله) . . فإنما نظر القلب للسوى كالحدث وطهوره التوبة .

• يا عبد أنا مُظهر السِّوَى ومُصرِّفه فدعه يختلف فلذلك ما أظهرته وكن عندى فلذلك ما اصطفيتك . . إنما السوى محل الضدية والاختلاف والتعـــدد والتقسم والشتات، وإنما أنا الواحد لا ضدية ولا اختلاف .

• يا عبد لا تجعلنى رسولك إلى شىء فيكون الشىء هو الرب وأكتبك من المستهزئين بى على علم .

• يا عبد قف همك بين يدى فإن وجدت بينه وبينى سواى فالقه برؤيتك لى من ورائه فإذا ظل فانظر إلى فى إيجادى إياه ترانى فلا أقول لك خذ ولا دع .

• احفظ حالك بأن ترانى فى همك لا ترى همك فى همك فترى أمرين ونهيين لحكومتين عليك .

• يا عبد إذا قمت للصلاة فاجعل كل شىء تحت قدميك .

• يا عبد استعذ بى من سواى وإن أتاك برضاى .

• ما بقى بينى وبينك شىء فأنت عبده ما بقى .

• عبدى اخترنى أرتبك على كل شىء بالغنى عنه ولا تختر غيرى

أغيب عنك . . . وأى نير يطلع عليك إذا غبت سوى الذل والعبودية والحاجة لكل شىء .

• يا عبد إذا ارتفعت القسمة استوى الموحش والمؤنس (إذا ارتفع الحجاب الذى يقسمك عنى يصبح كل السوى بلا قيمة الموحش منه والمؤنس) .

• أول الفتنة معرفة الاسم (اسم الله الأعظم) .

إن أفنيت منك ما يطلب الاسم أفنيت منك ما يطلب الضد . (لأن من يطلب الاسم قد أشرك مع الله مطلوباً آخر) .

• أنا خير لك منك إن نسيتنى ذكرتك وإن أعرضت عنى أقبلت عليك كأنى أبنى بذكرك عزة أو آنس بك من وحشة أنا الغنى عنك وعن كل شىء .

• إذا رأيتنى من وراء الشىء فعصيتنى فقد عصيتنى على علم ومن عصانى على علم فقد حاربنى . . أعددت لمن عصانى عذراً . . وأعددت لمن حاربنى حرباً . . حربى لك أن أخلى بينك وبين ما حاربتنى عليه . . وعصمتى لك أن أظهر من ورائه فأقسمك فإذا قسمتك أذهبتك .

• علم يدل علىّ هو السبيل إلىّ . . علم لا يدل علىّ هو الحجاب الفاتن .

• لا تدْعُنى من وراء الحجاب إلا بكشف الحجاب ذلك فرض تعرف على من رآنى .

• أقسمت على نفسى بنفسى ما ترك لى تارك شيئاً إلا آتيته ما ترك

أو أزكى مما ترك .

- يا عبد ما لأفكارك تنعطف على أفكارك وما لهمومك تبيت وتصبح فى همومك . . أنت ولىّ وأنا أولى بك فأثبتنى ذات سرك فأنا بها وبما تتقلب به أعلم منك .
- من صفة الولى لا عجب ولا طلب . . كيف يعجب وهو يرى الله وكيف يطلب وهو يرى الله .
- إنما يقوم الليل من قام إلىّ لا إلى ورد معلوم ولا إلى جزء مفهوم . . هنالك أتلقاه بوجهى فيقف بقيوميتى لا يريد لى ولا يريد منى فإن شئت أحادثه حادثته وإن شئت أن أفهمه أفهمته .

يا عبد انصرف أهل الورد حين بلغوه وانصرف أهل الجزء من القرآن حين درسوه . . ولم ينصرف أهلى فكيف ينصرفون .

- يا عبد إذا رأيتنى فأقمت فى رؤيتى بلوتك بالبلاء كله وحملتك بالعزم كله فلم تزل فى مقامك . . . وإن لم تقم فى رؤيتى بلوتك ببعض البلاء وأعجزتك عن العزم فذقت طعم البعد فاستخرجت منك بالعجز لرحمتى لك استغاثة فحملتك بالاستغاثة إلى الرؤية .
- يا عبد كل شيء لى فلا تنازعنى ما لى .
- يا عبد أظهرنى على لسانك كما ظهرت على قلبك وإلا احتجبت عنك بك . . اجعل موعظتى بين جلدك وعظمك .
- يا عبد إذا رأيت الأبد فقد رأيت صفة من صفات الصمود . .
- يا عبد ما كشفت لك عن الأبد حتى سترت منك من أحكام البشرية بحسب ما كشفت لك .

- يا عبد إذا كان ليلك لى ونهارك لعلمى كنت عظيماً من عظماء عبادى .
- معدن القوة اجتناب النهى .
- كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة .
- من أجار ذكرى من غلبات طبعه اتخذ لدى عهداً بنجاته .
- الذين صدقونى بالغيب وآمنوا بى دون أن يرونى أكون معهم يوم الجمع وأصحبهم فى الأهوال كما صحبونى من وراء الأستار وأرسل عليهم ثبتاً فى الزلزال فأثبتهم على كل حال .
- يا عبد لا تُرد تحتجب بالملاءمة أو بالمنافاة (تحتجب بالفرحة لتحقق مطلوبك أو بالحزن لإخفاقك) .
- يا عبد من عرفنى بى عرفنى معرفة لا تنكر بعدها أبداً .
- يا عبد من لم أتعرف إليه لا يعرفنى .
- يا عبد إذا رأيتنى أصرف عنك السوًى ولا أصرفك عنه ، فسل عنى العالم والجاهل واسلك إلى الأمن والخطر . يا عبد إذا رأيتنى أصرفك عن السوى ولا أصرفه عنك ففر إلى من فتنتى واستعذ بى من مكرى .
- أنا ضيف أعزائى إذا رأونى أفرشونى أسرارهم وأخدمونى اختيارهم .
- لا يجرى عليك فى نومك إلا حكم ما نمت به ولا يجرى عليك فى موتك إلا حكم ما مت به .
- إذا لم أغب عنك فى أكلك قطعتك عن السعى له .
- عبدى فى حضرتى يرى الاسم لا يملك من دونى حكماً . . وذاك

مقام البهوت وهو آخر ما وقفت فيه القلوب .

• إن نفيت الاسم كان لك وصول . . إن لم يخطر بك الاسم كان لك اتصال . . إن كان لك اتصال فأردت كان (تنى الاسم ولا يخطر بك الاسم من فرط الوجد بالمسمى . . . وهو أعلى درجات الحب للذات) .

• أنت ضالتى فإن أوجدتنيك فأنت حسبى (أى إن يجد كل منا الآخر) .

• أنت ضالتى وأنا ضالتك وما منا من غاب .

إن كان غيرى ضالتك فاظفر بالحرب .

إن كنت ضالتك تهت إلا معى وحرت إلا عندى .

• إن لم ترني فلا تفارق اسمى .

إن لم ترنى من وراء الضدين رؤية واحدة لم تعرفنى

من لم يرنى وغفل عنى فهو منتهى نفسه .

لا أكون أنا المنتهى حتى ترانى من وراء كل شىءٍ .

• انظر إلىَّ ولا تَطِرف يكن ذلك أول جهادك فىَّ .

• ابنِ أمرك على الخوف أثبته بالهم ولا تبن أمرك على الرجاء والتمنى أهدمه إذا تكامل العمل .

• إن جعلت لغيرى عليك مطالبة أشركت بى فاهرب هربين هرباً من الغريم وهرباً من يدى .

• إن لم تجز ذكرى وأوصافى ومحامدى وأسمائى رجعت من ذكرى إلى أذكارك ومن وصفى إلى أوصافك .

• الأسماء تفرق عن الاسم والاسم يفرق عن المعنى .

• الزم حسن الظن تسلك محجتى ومن سلك محجتى وصل إلىّ .

• انظر إلىّ كيف أنتزعك من الانشغال بسواى . . أغرْت عليك أم اطرحتك .

• أذْهِب عنك حب السُوى بالمجاهدة . . إن لم تُذهبه بالمجاهدة أذهبته أنا بنار السطوة . . حبك للسُوى من السوى والنار سوى ولها على الأفئدة مُطّلَعٌ . . فإذا اطلعتْ على الأفئدة فرأتْ فيها السوى رأت ما منها فاتصلت به .

• أزح عللك ترانى مستوياً ولا ريب .

• أحبابى لا رأى لهم (لأنهم يتركون الاختيار لى) .

• لو صَلُحتَ لشىء ما أبديت لك وجهى .

• الحسنة عشرة لمن لم يرنى . . والحسنة سيئة لمن رآنى (كلما زاد القرب زاد التكليف . . وحسنات الأبرار سيئات المقربين . . والمحسن يتصدق على الفقراء بدرهم والنبى يراها سيئة إن لم يتصدق بكل ماله) .

• إذا صار السُوى خاطراً مذموماً سقطت الجنة والنار .

• استغفرنى من فعل قلبك أكفك تقلبه .

• أفسدتك على كل شىء وجعلت ذلك حجاباً بينك وبينه فلا تخرق الحجاب بالتعرف له فأرسل عليك مذلته .

• الوحدانية وصف من أوصاف الذاتية .

• الصدق ألا يكذب اللسان والصديقية ألا يكذب القلب .

كذب القلب أن يعْقِد ولا يفعل .

كذب القلب أن يستمع إلى الكذب .

كذب القلب أن يتمنى الأمانى .

الكذب كله لغة سواى والحق والحقيق لغتى .

٭ القلب الذى يرانى محل البلاء .

٭ آليت لا يجدنى طالب إلا فى الصلاة وأنا مُلَيِّل الليل ومُنْهِر النهار .

٭ إذا وقفت بين يدى ناداك كل شىء فاحذر أن تصغى إليه بقلبك فإذا أصغيت إليه فكأنك أجبته .

إذا ناداك العلم بجوامعه فى صلاتك فأجبته انفصلت عنى .

٭ يا عبد اخرج من همك تخرج من حدك .

٭ قال لى . . فى الجنة كل ما يمكن أن يخطر على بال . . ومن ورائه أكبر منه . . وفى النار كل ما يمكن أن يخطر على بال . . ومن ورائه أكبر منه .

أنا من وراء النعيم . .

ولو عرفنى النعيم لانقطع عن التنعيم .

من عرف نعمة رؤيتى وحضرتى يندم على ما أضاع من وقت فى لذائذ الجنة الحسية ويحزن على ما فاته من التطلع إلى وجهى .

٭ الذى يصدك عنى فى الدنيا هو الذى يصدك عنى فى الآخرة .

٭ يا عبد اصحبنى فى سرك أصحبك فى علانيتك . . اصحبنى فى وحدتك أصحبك فى جمعك . . اصحبنى فى خلوتك أصحبك فى ملائك .

٭ يا عبد بينى وبينك حبك لنفسك فألقه أحجبك عنك .

٭ يا عبد أشْرَك من استوقفه الحديث أخلص من استوقفه المحدث .

٭ قل مولاى وجهنى بوجهك لوجهك .

٭ يا عبد إذا استندت إلى شىء فقد اعتصمت به دونى وكتبتك مشركاً .

٭ يا عبد خلقت لك الأشياء كلها وأنا خير لك من كل شىء لأنى صاحب الفضل فوَلِّ الأشياء ظهرك وولنى وجهك .

٭٭٭

مخطوطة جديدة عثر عليها للنفري

قال لى ربى . . سر إلىّ وأنا دليلك . . فسرت . . فرأيت نفسى فقال لى . . جُزْها إلىّ . إنك إن وقفت مع نفسك المذمومة هلكت وإن وقفت مع نفسك المحمودة احتجبت . . وإنك إذا احتجبت بدواعى المحمودة جاءتك فى ذلك الحجاب دواعى المذمومة فتستأسرك قهراً لأنك فى الحجاب . . فسرت . . فرأيت عقلى . . فقال لى . . جُزْه إلىّ . . إنه إذا أقبل رأى الحكمة وإذا أدبر رأى نفسه . . فإن دخل بك إلى الحكمة قال لك اتبعنى فيكون له الربانية عليك إن أقبل أقبلت معه إلى الحكمة وإن أدبر أدبرت معه إلى الحجاب . . فجُزْ من يُقْبل ويُدْبر . . فجُزْت . . فقال لى جزت الخطر . . فرأيت المُلْك كله رؤية واحدة فقال لى . . جُزْه وجز ما فيه فإنه مرتع نفسك وأحلامها فجُزْته فرأيت الملكوت كله رؤية واحدة فقال لى جُزْه وجُز ما فيه فإنه مرتع عقلك وبيته فجزته فرأيت الحكمة ففتحت لى عن بابها ففتح لى بابها عن أبوابها ففتحتْ لى أبوابها عن خزائنها ففتحت لى خزائنها عن كنوزها فجاءنى العقل والنفس والعلم والمعرفة كلهم متزاحمين فقال لى

ربى . . جُزْها إلىّ عابراً . . أنت عابر كل شىء . . ألق الحكمة إليهم واعهد إليهم أن يبتنوا بها بيوتاً فإنها هى مبلغهم (غايـة مـا يتمنوه) ليفارقوك وتفارقهم ثم سر إلىّ فمـا هى بيتك ولا أنت من سواكن بيوتها أبد الآبدين . .فسرت فرأيت العابرين ورأيت السائرين ورأيت العلماء والزهاد والخائفين فقال لى ربى . . كل عابر معه جهته إليها يتوجه وكل سائر معه طريقه ولن يدعوك سائر إلا إلى مقامه ومقيمه الذى أقامه فيه فإن أحببت العالم دعاك إلى العلم وإن أجبت العارف دعاك إلى المعرفة فجُزْهم أجمعين فإنهم طريقك لا مقصدك ومعبرك لا موطنك . . فجُزْت فرأيت كل شىء وعلى وجه كل شىء معنى كل شىء وكل ما يتعرض لى يجاذبنى ويحاول أن يلفتنى . . فقال لى . . تعرض كل شىء لعينك الناظرة وتعلق كل معنى بهمك الطائف فغض البصر ولا تنظر إلى شىء يصمت عنك واخلع همّك من كل معنى واجمع همّك علىّ . . إنه إن لم ير همّك لم يجاذبك . . فغضضت النظر وخلعت الهم . . فقال لى ربى . . مرحباًبعبدى الفارغ من كل شىء . . مرحباً بقلب عبدى الفارغ من كل شىء . . وقال لى . . جُزْت الكونية وجئت إلى المكون وسمعته يقول « كن » فقال لى جُزْ « كن » فإنها مُسْتمَدّ الكونيَّة لئلا تهبط بك عن مقامك فجزت « كن » فرأيت الله فقال لى . . إنه الله . . قلت . . أنت الله . . أنت مولاى الذى فطرتنى للقيام بين يديك . . ففطرتك تمسكنى فى مقامك ونورك يحفظنى من خواطف الأمر والنهى عنك .

قال لى ربى . . أول حجاب تنفصل إليه الرؤية هو حجاب الإنصات . تنصت لله . . والإنصات مراتب . . ثم إن الإنصات لله ينفصل إلى حجاب الصمت لله . . والصمت كذلك مراتب .

وقال لى . . كيف تصمت . . لا تفكر

كيف تنصت . . لا تهمّ . .

قلت مولاى . . كيف لا أفكر . . مولاى . . كيف لا أهم

قال لى ربى . . إذا رأيتنى فعّال كل شىء لم تفكر . . أما إذا رأيت الأشياء فِعْلى ولم ترنى . . فكّرت . . وإذا فكرت جاءتك نفسك فقالت لك . . هذا فعله وهذا فعلك فإذا أَرَتْك الفصل – ولا فصل – انفصلت . . وإذا أَرَتْك الفرق – ولا فرق – انفرقت . . وإذا انفصلت وانفرقت جئت إلىّ تناظرنى وتحتج علىّ وتنازعنى مالى . . فانظر إلىّ فعّال كل شىء ولا تنظر إلى علم هذه الفعلانية . . تصمت لى ولا تفكر . . إنما البحث فى العلم هو الذى يجيئك بالفكر .

وقال لى ربى . . إذا رأيت الفعل والفعلانية من وراء ظهرك لا من

بين يديك (أى رأيتنى أنا الذى أفعل لا أنت) . . ورأيت ليس بينى وبينك « أنت » ولا بينى وبينك فعلانية . . لم تهمّ .

وقال لى ربى . . لى فى الأقوال رؤية قولانية ولى فى الأفعال رؤية فعلانية ولى فى العلوم رؤية علمانية وفى كل شىء رؤية قيومية . . وكل رؤية تقصر من رآها على ما رآها فيه (الرؤية القولانية هى أن يقول الواحد منا فى لحظة . . شعرت أن الله أنطق لسانى بكذا فأنقذنى من خطر ماحق . وكأنما رأى الله فى نطقه . والرؤية العلمانية هى أن يقول العالم فى لحظة . . شعرت أن الله ألهمنى باكتشاف كذا . . فكأنما رأى الله فى علمه) .

وقال لى . . صاحب الرؤية القولانية يرانى إذا قال وهو من رؤيتى على خطر وصاحب الرؤية العلمانية يرانى إذا علم وهو من رؤيتى على خطر .

قلت مولاى ما الخطر . . قال لا يدوم له القول وما للقول دوام ولا يدوم له العلم وما للعلم دوام . . فإذا فارقه ما رأى فيه . فارق الرؤية . . فهذا هو الخطر . . يفارق القول يفارق الرؤية يفارق العلم يفارق الرؤية .

وقال لى . . صاحب الرؤية القولانية يرانى إذا قال . . ولا يرانى تلك الرؤية إذا صمت فرؤيته التى هى حقيقته فى قوله . . ولكن حقائق قوله فى صمته لا فى قوله . . وأنت ترى ذاك وهو لا يراه لأنك ترانى لا فى قول وترانى لا فى فعل وترانى لا فى علم وترانى لا فى عمل فأنت صاحب الرؤية الكبرى ترى الله فى كل شىء فى الصمت والنطق تراه لا ستر بينك وبينه . . إن القول ستر فى الرؤية . . والعلم ستر فى

الرؤية . . والعمل ستر فى الرؤية . . وإن لى عباداً يروننى من وراء الستور .

فإذا رأيتنى لا من تحت ستر وإذا رأيتنى لا من تحت اسم فقد رأيتنى رؤيتى الكبرى .

وإن لى عباداً لا يستعظمون هذه الرؤية لأنى أرفع الستر ولا أوذنهم ستراً رفعت وأرفع الاسم ولا أوذنهم اسما رفعت .

قلت : مولاى ما الستر وما الاسم ؟ !

قال : الستر والاسم قول يرانى فيه أو علم يرانى فيه أو حزن يرانى فيه أو خوف يرانى فيه . . فإذا رآنى ولم ير الستر ولا الاسم بينى وبينه بهت وأدركه البهت والبهوت .

وقال لى : يا صاحب الرؤية الكبرى أنت ترى الناظرين والعاملين والواقفين تراهم فى رؤيتهم وتراهم إذا خرجوا من رؤيتهم .

وقال لى : . . لا مجالسة إلا لصاحب الرؤية الكبرى .

وقال لى . . المجالسة على عتبة هذه الرؤية ومن وراء العتبة باء الصفة عن اليمين وباء الصفة عن الشمال (أى أنك تخرج عن صفتك البشرية على العتبة) .

وقال لى : أصحاب الرؤية اثنان . صاحب أسماء وستر وهو جليس خطر لا جليس رب يرانى فى حجاب فهو جليس ما يرانى فيه لا جليسى . . ومفارق للأسماء وللستر . . باهت . . يرانى فى البهوت .

قلت مولاى . . ما البهوت ؟

قال ربى . . يخرج من الأسماء والستر فيرانى فيطمئن برؤيتى ولا أقول له فى هذه الرؤية ولا يقول لى .

• الذى يبوح بحاجته وشكواه إلىّ يتخذ من لسانه مهرباً .
أضمر حاجتك فى قلبك ولا تبح بها أكن أنا مهربك وليس لسانك .
والآمن من جعل مهربه إلىّ لا إلى لسانه فأنا لا تجير منى الألسن ولا تنقذ منى الأقوال فأقم لسانك على الصمت لى وقم أنت بين يدى .

• جليسى أقرب عبادى إلىّ وهو أقرب إلىّ ممن يرانى . . . والمجالسة ثمرة الرؤية الكبرى وهى رؤيتى فى كل شىء وفى كل وقت ومن بلغها يبلغ السكون تحت جناح الجلال والاستقرار . . وجليسى لا يجالس سواى وإن جالس كتابى فارقنى وإن جالس سنّة نبيى خرج عن مجلسى . . إنما يخرج إلى السنّة والكتاب لضرورة وذلك حينما يجالس العبيد بإذنى وتكليفى .

• إذا رأيتنى فلا تجالسنى فليست الرؤية إذناً للمجالسة إلا أن تكون الرؤية الكبرى التى ترانى بها فى كل شىء وفى كل وقت .

• الحزن صفة عبدى . . من يعبدنى حزين حتى يرانى ومن يرانى

حزين حتى يجالسنى . . ومن يجالسنى حزين لأنى أفوته . . والفوت صفتى (الله متجاوز لكل شيء متعال بصفته) . . والحزن لا يبرح :

إنما الحزن لسان من ألسنة حفظى والبشرى لسان من ألسنة رضاى فلا تقف فى الحزن ولا فى البشرى وإنما قف لى وقف بى كما يقف الجلساء بين يدى يطلع نورى على قلبك .

• ليس فى المجالسة ذكر ولا فى المجالسين ذاكر إنما الجليس ناظر لا ذاكر . . . ناظر لا يرجع ناظره . . فَهِمْ لا ينطق فهمه . . مُدْرِك لا بشيء إدراكه .

• انتهت عزائم العلوم إلى فرقان المعرفة وانتهى فرقان المعرفة إلى آداب الرؤية وانتهت آداب الرؤية إلى آداب المجالسة فمن عرفها رآنى بين قلبه وهمه (فجمعه هَمُّه دائماً علىّ) وبين لسانه وكلامه (فلم ينطق إلا بذكرى) .

وقال لى . . الجليس لا يستفتى ولا يستأذن ولا يستجير ولا يسأل ولا يستكشف . . إن استفتى هبط إلى العلم وإن استأذن هبط إلى المعرفة وإن استجار هبط إلى الحاجة وإن سأل هبط إلى الفقر وإن استكشف هبط إلى الأعراض .

وقال لى : . . عند الجليس من كل شيء علم ومن كل علم ذكر فهو عبدى الحاوى ، وقال لى . . انظر ماذا يرى الجليس . . يرى الأقدار ويرانى كيف أسوق قدراً قدراً ويرانى كيف أعيد تلك الأقدار بما أشاء لأنى أنا المبدئ والمعيد ويرى اليقين أنواراً بين يدى . . أنواراً

عارفه . . ويرانى كيف أطلعها نوراً نوراً على من أشاء . . ويرى كل علم وكل جهل حتى يرى الهم والوهم فيرانى كيف أبعث من ذلك بما أشاء إلى من أشاء ويرى القلوب لا تستقر إلا فى مجالستى .

وقال لى : . . الجليس لا يدخل منازل العلم والمعرفة إلا فى ضرورته فإذا دخلها فى ضرورته دخلها أدباً حتى إذا خرج عن ضرورته عاد إلى مجالسته فمن دخلها أدباً ملكها فلا تملكه ومن دخلها قاصداً ملكَتْه فلا ينتصر .

• تجلس بين يدى ولعلم أو معرفة عليك مدخل أُخرجك من مجلسى إلى العلم والمعرفة لتقضى ما بينها وبينك فإذا جلست فى العلم فلم يأتك فيقتضيك وجلست فى المعرفة فلم تأتك فتقتضيك أجلستك بين يدى . . لأن مجلسى لا يدخله الغرماء ولأن جليسى لا يلتفت إلى ما وراء ولا تثبت لمخاطبته ألسنة ما بدا .

• جليسى يرانى كيف أمسك كل شيء . . وكيف لا يتماسك من دونى شيء وهو يرى كل شيء فِعْلى لا يقوم إلا بى . . لا يستثنى من ذلك الهم والوهم ولا النواة الملقاة فى الطريق ولا اللبنة فى الحائط . . فإنى ما أزال أمسك بكل شيء ، حتى إذا فنى جلسائى هتكت الحجاب وهدمت السموات والأرضين شوقاً إليهم وليجلسوا منى مجالسهم من جديد .

***

الصبر

قال لى : . . أقرب الأبواب إلىّ باب الصبر علىّ . . وليس بينى وبينه باب وكل الأبواب من وراء هذا الباب ولكل باب حجاب وليس لباب الصبر حجاب فأقم فيه .

تريد ربك . . . ؟ ؟

انظر إليه واصبر حتى يبتديك .

تريد ربك . . ؟ ؟

انظر إليه وأَخْبِتْ (اخشع) حتى يعزم هو .

وقال لى : . . إذا عز بك الصبر علىّ ويعز بك لأنك إذا وقفت فيه وقفت فى العزة فقل كلمات الصبر .

وقال لى كلمات باب الصبر هى .

رَبّى هو يفعل كل شىء .

جاء بعبده يقول له افعل هذا الشىء وذاك الشىء .

جاء به ليحجبه عن رؤية فعله .

حجبه عن رؤية فعله . . . (خُيِّل للعبد أنه هو الفاعل)

ابتلاه فيه .

ابتلاه فيه .

فتنه . .

افتتن العبد بأفعاله (خيل له أنه هو الذى يدبر الأمور وينفذها) .

ماذا يصنع العبد ؟ ! !

يصبر لربه ويصبر على ربه حتى يأتيه اليقين (عند الموت وعند كشف الحجاب) .

جاءه السيف فليقدم عليه (يقول الله فى مقاتلى بدر عن معركة المسلمين مع الكفار . . فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . . فيكشف الحقيقة وهى أنه هو الذى قتل الكفار . . ومع ذلك فماذا حدث فى الظاهر . . قاتل المسلمون وصابروا ورابطوا وصبروا . . جاءهم السيف فأقدموا عليه . . وهذا مفتاح الباب ومفتاح اللغز) . . إذا قال لنا اقتلوا نقتل ونجاهد مع علمنا بأنه هو القاتل وهو الفاعل لكل شىء .

وقال لى . . إذا جئت إليك فى رؤيتى فلا عزة . . خضعت العزة للعزيز وجاء العزيز إلى عبده . . إذا جئت بك إلىّ فى رؤيتى فأنت فى مقام العزة . . فملت فأنا أقيمك فالتفت فأنا أردّك .

وقال لى : . . باب حضرتى هو باب الصبر علىّ .

وقال لى : . . فى باب الصبر علىّ تدرى من أنت وتدرى ما اسمك عنـدى .

وقال لى : . . للعلم مطلع فإذا اطلع به إلى المعرفة رأى نفسه ولم ير المعرفة ، وللمعرفة مطلع إذا اطلعت به إلى الوقفة رأت المعرفة ولم تر الوقفة

وللوقفة مطلع إذا اطلعت به إلى السر رأت الوقفة ولم تر السر ، وللسر مطلع إذا اطلع به رأى السر ولم ير ما سواه .

وقال لى قد رأيت كل شىء ورأيته إذا اطلع لا يرى إلا نفسه فلا تطلع إلى شىء وإن كشف لك عن نفسه ولا تستتر عن شىء إذا جاء ليتبعك واستتر عليه إذا جاء ليحادثك (حتى لا يلهيك ويحجبك عن هدفك بدعوتك إلى نفسه) .

مَن يجيرنى من الهوى

أوقفنى ربى فى علمه فرأيته يُشْقِى لسبب هو سببه (يشقى بالميكروب وهو خالق الميكروب فهو الضار بالحقيقة وليس الميكروب) ويسعد لسبب هو سببه (يسعد بالمال وهو رازقه فهو النافع بالحقيقة وليس المال) ورأيته لا يظهر علم ذلك (فهو يخفى إرادته فى أسبابه) .

ورأيته يُقلِّب الكفر ويُقلِّب الإيمان (بامتحان القلب بالهوى) فصرخت مستجيراً . . يا علم أجرنى . . قال مرجعى إلى علمه . . قلت يا معرفة قالت مرجعى إلى معرفته . . خفت قال خوفى لا أُجيرك . . حزنت قال حزنى لا أجزيك . . قلت يا رب . . قال لبيك . . قلت لبيك رب وسعديك . . قال . . ما تريد . . قلت ثبتنى . . أجرنى من الهوى . .

قال . . الهوى رسول من رسل بأسى الشديد أرسلته إليك وفى الهوى نارى فإذا جاءك جاءتك نارى فادخُلها . . قلت كيف أدخلها . . قال لا تستجر بعلم ولا بمعرفة فإن استجرت بهما أسرك الهوى وأسرهما (العقل والعلم والحروف كلهـا خـدام الهوى وجنود النفس وأرقاؤها

ورهن إشارتها وتصرفها وهم عند احتدام المعركة عليك وليسوا معك) .

واعلم أنه لا مجير من الهوى إلا الله . . ولن تخرج من نار الهوى بعلمك ولا بمعرفتك فتأكلك النار وتأكل علمك ومعرفتك ثم تقيم فى النار حتى تأكل منك الجزء الذى يستجير بالعلم والمعرفة فإذا أكلت النار ذلك الجزء تَطَهَّرت وأدركت أنه لا مجير سواى فصرخت إلىّ فجئتك وصرفت عنك نارى فلم تعد إليك .

قال لى ربى : . . وزنت أعمال العاملين فما عدلت جميعها معرفة أقل العارفين (ولهذا قدم الله الإيمان على العمل فى كتابه فقال فى أكثر من مكان « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » . وقال إن الأعمال الصالحة إذا صدرت عن غير العارفين بالله تنتهى إلى الإحباط فتصبح أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف . . فقناطير الأعمال لا تساوى ذرة إيمان لأنه لا عامل فى الحقيقة إلا الله . . ولا فاعل سواه حتى يدعى أحد إلى جواره الفعل . . ويقول أنا عملت) وبالمعرفة نعمل وليس بالعمل نعرف .

قال لى العقل : . بيتى فى الحكمة وليس للحكمة باب ولا سور وهو ذا يدخلها الحق والباطل والحسن والقبيح . . وكل بيتى أبواب لا سقف له يظله ولا أرض له تقله فكل شيء يلج علىّ وكل شيء يخاطبنى وكل شيء يختصم إلىّ وكل شيء يخاصمنى ولى فى كل شيء هوى . . وقد دخلت أنت الحضرة وفارقتنى أنت بنور مقامك ولم أفارقك أنا لأن مقامى فيك فأنت لا تخبرنى وأنا لا أفقه عنك (العقل أداة للتعرف على الأشياء وعلاقاتها ومنتهى العقل أن يصل إلى الحكمة فى بناء الأشياء وتركيبها بالمقادير المضبوطة وهذه حدوده . فإذا جاوز العارف الأشياء تجاوز عقله وتخطاه ساعياً إلى نور الحضرة . . وفى نور الحضرة لا يفقه العقل شيئاً . . فهذا ليس مقامه) .

يقول الولى الملازم للحضرة . . معرفتى بكل شيء معرفة الجواز والعبور . . فلا مقام لى فى علم ولا معرفة . . إنما أعبر وأجوز .

كيف تجوز العلوم وكيف تعبر المعارف . . ؟ ؟

لا تستمع فتجيب . . ولا تلتفت فتفارق . . فالله قدام كل شيء (فى الحديث النبوى الشريف . . عش فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل . . والمعنى أن يظل العابد مجموع الهم على الله برغم الجواذب وبرغم مغريات الدنيا حتى ولو كانت هذه المغريات هى العلوم والمعارف فإن العابد يدخلها ويجوزها ويعبرها إلى من هو أرقى . . إلى الله الشاخص أمامه على الدوام . . هدف كل العلوم وكل المعارف) .

إن دخلت العلوم فادخلها عابراً . . إنما هى طريق من طرقاتك فلا تقف فيه فيأتيك الذين بنوا فيه فيغروك بمنازلهم التى بنوها فيه فترى نورى الذى استعملتهم به طالعاً على منازلهم (نور الله هنا هو ما يبدو فى فنون الهندسة والمعمار والتكنولوجيا) فتقيم فى منازلهم آنساً بنورى الذى طلع عليها فلا تقف إلا علىّ . . وتقيم معهم وأنت معى لا معهم . . فإن شئت أطلع عليك بنورى طلعت وإن شئت أرسلتك إلى نورى أرسلت .

طر إلى يا عبدى فإن لم تستطع فاعبر إلى يا ضعيف فإن لم تستطع فاصرخ إلى يا غريق حتى تبلغ مقامك منى كى أحملك إلى موقف قبل « كن » وإن ما تراه وما تسمعه فى ذلك الموقف كان فى علمى لم تعلمه فى مقامك الدنىّ (سوف ترى كل أعمالك المقبلة المدونة فى لوح كن . . مما هو محجوب عنك فى مقامك الدنىّ) وتلك هى كرتك الأولى وحياتك الدنيا فلا تأتنى بشىء مما كشفت لك (لا تأتنى مزهوًّا بهذه الأعمال الصالحة فى الآخرة فقد رأيت أنى أخرجتك لإنجاز هذه الأعمال بنورى) وإنى سأخرجك إلى ملكى وملكوتى فى حياتك الأخرى وكرتك الثانية مما لا تعلم ومما لا أبدى لك فى مقامك الآن ومما لا يد لك فيه (فى الحديث الشريف لا يدخل أحدكم الجنة بعمله وإنما بفضل من الله ورحمة) فألق إلىّ بأعمالك واطرحها عنك ولا تقل لى . . عملت . . عملت . . وادخل إلىّ لا حول لك ولا قوة إلا بى . . تكن العارف حقًّا .

إن لى عبيداً إذا حادثتهم لا يستفهمون وإذا كلمتهم لا يجادلون وإذا أمرتهم لا يَهمّون . . أيهمّون ! ! ؟

من يهمّ فى الأمر يقع بين تقديمه وتأخيره ومن يستفهم فى الحديث يقع بين ثبته ومحوه . . إنما عبدى حقاً من ينطلق إلى الفعل لحظة الأمر . . لا يستفهم ولا يجادل ولا يهمّ شأنه شأن ملائكة العزائم (والله يستنكر فى كتابه جدال اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة فراحوا يجادلون ويستفهمون أى نوع من البقر وما لون تلك البقرة وما سنها من الآيات ٦٧ – ٧١ سورة البقرة . . وهو يضرب بتلك الآيات مثلا على سفاهة اليهود وعلى سفاهة الجدل) .

لو ناقشت أحكامى فقد جعلت من نفسك ربًّا ووقفت منى موقف النِّدِّية وهو الكفر بعينه ولا يصح أن تتوقع فى الكفر عطاء . . ما دمت جعلت من نفسك إلهاً نداً لإلهك فأعط نفسك . . وإنما العطاء يكون حينما تلزم موقف العبد من عظمة الرب . . ولهذا يقول الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (إلا لأفيض عليهم وأعطيهم ولا تكون تلك الإفاضة إلا من رب لعبد ولا يمكن أن تكون من رب لرب) .

أوقفني فى النفس فرأيت الملك والملكوت كله أبنيتها وقصورها ورأيت العلم كله والمعرفة كلها والعقل بيلمانه خُدَّامها والأسماء والحروف جنودها وأعوانها .

وقال لى ربى . . هى عدوك . . فلا تحاورها فإنك لن تحاورها إلا بعلم والعلم جنديها والعقل خادمها وهى ناطقة لا تصمت . . ليس تصمت فتسمع . . وإذا حاورتها أوهمتك أنها تسمع وهى بالحق لا تسمع إلا نفسها وصوتها ورغائبها .

وقال لى ربى . . إن أردت ملكها وملك بيوتها وجنودها . . إن أردت إخضاعها فلا تحاورها وأضمر جوعها كما تضمر هى من وراء ما تدعوك إليه شبعها . . وحينئذ سوف تراها تفارق جندها وتخرج من قصورها وتحاورك فى الجوع لا فى غيره فلا تحاورها ولا تجبها فإنك إن حاورتها أو أجبتها أرغبتها فأخرجتك عن إضمارك وإذا أخرجتك عن إضمارك ظفرت بك ولو حاورتها بالعلم غلبتك فالعلم والمعرفة جنودها . . إنما مثل ذلك كمطاردة عدوك بين يديك حتى إذا أوطنك دياره خرج

من وراء ظهرك . . فاضمر جوعها واكظم على إضمارك ولا تضمر به منزله ومطمع فتخرج من إضمارك بإضمارك .

فأضمرْت جوعها فخرجت من كل علم ومن كل معرفة ومن كل ملك وملكوت وأقامت على باب هذا الإضمار تحاورنى فيه لتخرجنى منه فكظمت عليه فلم تطالبنى إلا به فكظمت لأنه حصنى الذى لا تستطيع محاورتى فيه ولا تصل إلى من بابه .

موقف النظر إلى وجهه

أوقفنى موقف النظر إلى وجهه وقال لى :

اهبط إلى كل شيء فانظر إليه وعد إلىّ فهبطت ومعى نوره الذى أهبطنى به فرأيت كل شيء . . ولم أر الحسن ولا القبيح ولم أر القريب ولا البعيد ولم أر المختلف ولا المؤتلف بل رأيت الحكمة الحقة ورأيت الصنعة الحقة ورأيت التدبير الحق ورأيت التقدير الحق (إنما يبدو لنا من عيوب ونواقص سببه نظرتنا الجزئية وعلمنا الجزئى أما إذا نظرنا بنور الله فسوف نرى كل عيب صفة ضرورية لازمة لكمال المخلوق ، وسوف نرى فى كل نقص حكمة وسوف نحكم بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان) . ورأيت الله قدام ما رأيت ورأيته من وراء ما رأيت ورأيته فى كل ما رأيت .

فقال لى . . رأيت الحق وشهدت له بالحق . . ثم عرج بى إليه ومعى نوره فوقفت فى مقامى منه أراه وحده يفعل ولا فاعل سواه .

وقال لى . . انظر من يأتيك . . فجاءنى العقل وهو مقبل فسألنى

عن أسماء ما رأيت وعن معانى أسماء ما رأيت فقال لى ربى . . لا تجبه إنك إن أجبته هبطت أنت إليه وأدبر هو عنك فدله على طريق ليرى ما رأيت بنور ما رأيت فيؤمن ولا يشك . . وكيف يشك وهو يرانى . . إنما يشك أولو الحجاب . . فلم أجبه فسلم لى وسلّم علىّ ثم ما لبث أن رجع فأدبر وجاءنى وهو مدبر فأنكر ما عرف واعترض على ما سلّم ونادى . . يا جدل . . يا جدال . . يا « لم » ويا « كيف » . ويا « دليل » ويا « حيثيات » فجاءه كل شيء إلا الحكمة .

قال لى ربى

إذا جاءتك الوسوسة جاءتك « بكيف » وهو لسانها وهو سؤالها لتردك إلى العلم فإذا دخلت إلى العلم وقعت بين إقبال العقل وإدباره . . أما إذا دخلت إلى المعرفة لم تأتك « بكيف » لأنه لا « كيف » فيها . . فقل للوسوسة . . به عرفت صفته لا بصفته عرفته وبه علمت العلم لا بالعلم علمته وبه عرفت المعرفة لا بالمعرفة عرفته . . « وكيف » قائمة بين يديه يرسلها لمن يشاء لتبتليه عنه أو لتزيده علماً به . . ورأيته يرسلها إلى العالم به وإلى العارف به ويعلمهم أنها وسوسة ولا يجيرهم منها برؤيته وإنما يفعل بهم ذلك ليشهدوا غناه عن معرفتهم له جهرة وليشهدوا عزه وقدرته جهرة وليعلموا أن ما أتاهم من رؤيته لا يغنيهم عنه جهرة .

وقال لى . . إذا جاءتك الوسوسة فقل لها . . هذا هو الفعل جهرة ولا وسوسة فيه . . إنه مفعول . . وهذا هو الفاعل جهرة لا وسوسة فيه إنه فاعل . . وهذه صفة الفاعل فعنها سألت وفيها وسوست . . أخبرنى هو عن صفته . . إن صفته لم تزل قائمة به .

قال لى ربى :

* علمى يقطعك عنى وفضلى يصرفك عنى . . فكن بى (لا بعلمى ولا بفضلى) أبدى لك بلا سبب حكومة تبدو فى كل سبب فتحمل كل شيء ولا يحملك وتسع كل باد ولا يسعك .
* البينة ما هى قول وهى فى القول وما هى علم وهى فى العلم وما هى معرفة وهى فى المعرفة .
* البينة ما تعرفت به فى رؤيتى والمعرفة ما تعرفت به فى غيبتى فالمعرفة لسان بينتى والبينة لسان قيوميتى .

والصمت من أحكام البينة والنطق من أحكام المعرفة .

* ما كل من رآنى رأى وجهى وكل من رأى وجهى فقد رآنى ، إن رأيتنى فى النعيم فقد رأيت وجهى فإن لم ترنى فيه فما رأيته ، من لم ير وجهى لم تغلب عليه رؤيتى ومن رأى وجهى غلبت عليه رؤيتى .

لن ترانى حتى ترانى أفعل ولن ترى فِعْلى حتى تُسَلِّم لى (يقول الله

فى القرآن لعبده الذى أماته وبعثه . . (وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) .

* إذا رأيتنى فى البلاء ففيه رآنى عموم الرائين وإن رأيتنى فى النعيم صلحت للأبد ولم تغب بالباديات .

إن رأيتنى لم تنجك إلا رؤيتى وإن لم ترنى لم ينجك إلا الإخلاص لى

إن رأيتنى رأيت ما من التراب كالتراب فإن خاطبته فخاطب ما منه (أى خاطب التراب تسلم من إغرائه) .

* قد رأيتنى قبل الشىء فإذا رأيتنى فى مجىء الشىء فاخلفنى على الشىء وإلا استخلفك الشىء على الشىء (فأصبحت عبداً للشىء وخادماً للشىء لأنك لم تر غيره ونسيت خالقك الذى أعطاك ربانية على الأشياء) .

* آليت على نفسى لا يجاورنى إلا من وجد بى أو بما منى (أى بذكرى وآلائى ونعمائى) .

هذه صفة أهل الظل الممدود . . فانظر أين أنت من المُذْهبين عنه أو الموصلين إليه .

كن من أهله فى حياتك ترد على برده وسلامه فى موتك .

إن لم تكن من أهله فى حياتك لم يَطِبْ موتك ولم يُبَرَّدْ لك مرقدك .

* من لم يُسَلِّم إلىّ ما عَلِمْ فتحت له أبواب الوجد بالمعلومات فوردها فأصدرته إليها فاحتجب .

* إذا أعطتك الحدود فادخر وإذا أعطيتك أنا فلا تدخر (أى إذا رأيت رزقك من الأسباب فادخر أما إذا رأيته منى فلا تدخر) .

* لا تفارق الوجد بقصدى وحدى . . لسان حالك يكون على الدوام . . إلهى أنت وحدك مقصودى ومطلوبى . . تظفر بالقوة التى لا تغلب وتطعك نفسك .

* إذا علمت فأيقنت فتحققت فاعتزل الحكم وخلّه لعلمى فإنه لا حكم إلا له .

إذا ضقت ذرعاً بدواعى نفسك فاسكن إلى زوجتك فإن ضقت فإلى أهل علمك (إن كنت طبيباً فإلى الأطباء) فإن ضقت فإلى أهل معرفتك (أهل الله) فإن ضقت فسر فى الأرض فإن ضقت فالزم بابى فإن ضقت فيه فاصبر فإن ضقت فيه فاصبر فان ضقت فيه فاصبر . . ينفتح لك نوره ولا تخرج عنه على ضيق . . وصابر عليه وانتظر .

***

أوقفنى فى القيومية وقال لى :

سبقت إلى الجزئيات فبى تجزأت لا بالحد ، وسبقت إلى الحد فبى تحدد لا بالمكان ، وسبقت إلى المكان فبى تمكن لا بالمسافة وسبقت إلى المسافة فبى سافت لا بالفضاء وسبقت إلى الفضاء فبى تفضّا لا بالهواء وسبقت إلى الهواء فبى كان هواء وإلى الهباء فبى كان هباء .

***

الحق لمن ؟

العلم يثبت لك حقًّا ولله حقًّا .

والمعرفة فى عمومها تثبت كل الحق لله ولا تجعل لك حقًّا .

والمعرفة فى خصوصها لا تجعل لك حقًّا ولا تجعل عليك حقًّا لأنها تُشهِدُك الإبداء والإعادة فى حكومة التفريد وتمحو منك ما يرجع إلى معنويتك فلا تجعل عليك حقًّا إذ لست بك ولا لك إذ لست عنك وهذا مقام إسقاط التدبير (ألقِ الاختيار ألقِ المؤاخذة ألبتة) ، وهذه الدرجة من المعرفة هى المدخل إلى الوقفة فبداية الوقفة هو ألا يكون هناك « سوى » لتكون عنده وقفة .. إنما الوقفة بالحق حيث لا إله إلا الله ولا سواه .

وهذا مقام تنتهى فيه حظوظ النفس .

« مقام » وما فعلته عن أمرى (كلمة سيدنا الخضر فى القرآن حينما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار بدون مبررات واضحة) .

وهذا مقام .. ليس بينى وبينك بين .

ليس بينى وبينك أنت

ليس بينى وبينك فعلانية

« ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ١٧ – الأنفال

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » ١٧ – الأنفال

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد

أوقفني في الرؤية وقال لي . . ما فيها مقال ولا قول ولا عبارة ولا إشارة ولا علم ولا معرفة ولا سمع ولا رسم ولا كشف ولا حجاب .

وقال لي : . . باب الرؤية الخروج عن السِّوى . . والسِّوى كله في الحرف .

والمعرفة عتبة الباب ولا يصل إليها إلا العارفون وعلى كل عارف سمة ما به يسكن وإليه يطمئن فمن سكن على شيء وقف فيه .

وقال لي الكل قاصدون إلى العتبة ولكل قاصد مطية ولكل مطية مربط . .

وقال لي مطية المعرفة العلم ومربطه الحرف .

وقال لي انزل عن المطية اخرج عن الحرف اخرج من المعرفة . . أمح عنك سمة الحجاب وأُثْبِت لك سمتى فلا تستطيعك الحروف الحاجبة .

وقال لي اذْهَب عن مُسمَّيات الحرف تَذْهب عن معناه فتذهب عنه فإذا ذهبت عنه فأنا أَقرب من حبل الوريد .

وقال لي اذهب عن الوريد وعن حبل الوريد واذهب عن أقرب أقرب تر « لفظية أنا » فاذهب عن اللفظية فإذا ذهبت عن اللفظية فأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا بكل شيء عليم .

وقال لي : . . الحرف وما فيه حجاب الباب والتقليب والتصريف حاجبان من وراء الحرف والإثبات والمحو حاجبان من وراء التقليب والتصريف فالتقليب والتصريف يلجان على الوقفة والإثبات والمحو يلجان على الرؤية .

كشف الحجاب لعارفيه فأبصروا ما لا تعبره حروف هجائه .

يا عبد ما أنشأت لك الصور لتذل للصور ولا غذيت الصور لتلجأ إلى الصور يا عبد أنا الغيور المحال . . خلقت الصور لك وخلقتك لى فلماذا تترك ما أنت له لتضيع وقتك فيما سخرته لك . . أنا أغار على حياتك أن تصرفها فيما لا يليق وفيما هو دون مكانتك وكرامتك .

يا عبد لى من وراء الصور وعلوم الصور وما تعلق بالصور كيف كانت الصور . . اسم لا يقوم له بناء الصور وعلم لا يثبت أمامه علومها .

يا عبد هو اسم تكلمت به لنفسى لا للسامعين فأودعته علماً لى لا للعالمين أختم به لمن أشاء فنعم عقبى الدار وأصرفه عمن أشاء فلبئس القرار (لعله الاسم الذى تبنى به القصور فى الجنة وتخلق به روائع صورها ونفائسها وكنوزها) .

يا عبد محضرك لا كالمحاضر فلا تبتذله بمشهوداتها . . وجهك لا كالوجوه فلا تذله لمذلاتها .

حمد على النعمة وهو عموم وحمد على شكرها وهو خصوص وعلى رؤية العجز عن شكرها وهو أخص وعلى السراء والضراء وهو أخص وعلى رؤية حسن اختيار المنعم وهو أخص وعلى تعرف الله إلى عبده وهو أخص ولوجه الحق تعالى لا لسبب به ولا لسبب منه وهو مبلغ علوم الحمَّادين وإليه ينتهى خاصها ولا يصح هذا الحمد من عالم به وإنما يصح من واجد به فإذا تواجد به شهده فإذا شهده أنطقه شهوده فامتحى أثر القصد من النطق وامتحى بأثر القصد شوائب الميل وتحقق إخلاص الحمد لوجه الحق تعالى . . ومثل هذا الحمد يسفر لصاحبه عن لسان القيومية فتنطق له المعارف بالتفريد فلا يُوحش من التعديد وتُجمع له فلا يُقسِّم بينها .

***

لا يحدث ذلك إلا حينما ترى أثر التقليب فى محبوبك فاليوم له اسم ووصف وطبيعة وغداً له اسم ووصف وطبيعة فتكون النتيجة أن يذهب عنك حُكْمُه ويستوى فى وجدك وجوده وفقده . . وهذا هو مصير الأشياء فى وجدان العابد فلا يصلح شىء منها أن يكون محبوباً . .

وهذه أول درجة من استواء الأضداد فى الوجد وهو أن تشهد المعنى الذى به حمى الماء هو الذى به برد فإذا بلغت ذلك استوى عندك فقد الأشياء ووجودها ولا يمكن بلوغ هذه الدرجة بالعلم . . وإنما بالمعاناة .

***

إذا رأيتنى فى النعيم لم تغب عنى فى سواه .

وإذا لم ترنى فى النعيم غلب عليك النعيم . . وإذا غلب عليك النعيم غلب عليك كل شىء . . وإذا رأيتنى فيه غلبته وإذا غلبته غلبت كل شىء .

ولن ترنى فى نعيم أو بلاء حتى تراه فعلى وحدى .

ولن تراه فِعْلى وحدى حتى لا ترى شيئاً من أجل شىء وحتى تتخلص من وهم الأسباب (لم يصبك البرد بفعل الدش البارد بل بفعل الله) .

أنا لا أبدو حتى أننى الوجد بسواى ولا أننى الوجد بسواى حتى أشهد أن لا حكم له ولا أُشْهد ألا حكم له حتى أرفع منك ما يتعلق به .

وقال لى : . . قف فى الكون بحكم علم ما لا كون . . . أرفع عنك حكم الكون (الكون كله فعل الله وصنعه إذن فليس ثمة إلا الله وفعله . . لا إله إلا الله) .

إلهى أنت خالق الأشياء ومدبرها وعالم الأشياء ومعلمها وعارف الأشياء ومعرفها . . إليك ترجع ومنك تبدو وبقوتك تبيد وبإذنك

تقوم وإليك تنقلب وبك تستقر .

من لى بخلٍ عارف فظ على صفة الحجاب
لا يُسترقُّ بخُلّب نظرت به عين السراب
وإذا بنى التكوين بيتاً
ما رآه سوى خرابا يبتنى فوق الخراب

***

الموقف الذى تحار فيه قلوب العارفين

أوقفنى فى اليقين الحق وقال لى : . . فى اليقين سر إذا عرفته لم أتنكر عليك وإذا تنكرت زادك تنكرى معرفة وكان على الذين لم يعرفوا سر اليقين نكره . . إنى أنا الله لا تحصى معرفتى ولا تسع القلوب حق معرفتى . . ولى معرفة فردة ما فطرت عليها قلب عبد ولا ملك فإذا جاءت جاءت النكرة فأنكر كل عارف ما عرف .

فإذا جاءت النكرة فاعلم أنه أنا تنكرت بمعرفتى الفردة فلا تنكرنى ولا تطلب معرفة بها تعرفنى . . وقل . . أنت . . أنت . . تتعرف كما تشاء وتتنكر كما تشاء . . فأثبتنى فيما تتنكر بوحدانيتك وأثبتنى فيما تتعرف بالسمع والطاعة لك .

وإذا تنكرت فاجعلنى ممن يعلم أنك أنت تنكرت . . وإذا تعرفت فاجعلنى ممن يعلم أنك أنت تعرفت .

***

وجه ما له سمت
وعين ما لها طرف
ونطق ما له حرف
وعِلم ما له صحف
وقُرب ما له أين
وبُعد ما له خَلْف

إلهى أنا الذليل بى العزيز بك الفقير بى الغنى بك الضعيف بى القوى بك لا يعلم قدر ذلى وفقرى وضعفى سواك .

مولاى معرفتى فى قلبى تحتج لك علىّ وأنا خاشع على عتباتك ساجد فى رحابك وقد جئتك بذنوبى وخطاياى أسألك عفو الصفح والكرم وأسألك ستر التوبة والإنابة .

مولاى لو تحمل ذنوبى . . . فإن أرضك لا تقلنى وسماؤك لا تظلنى ولا شىء من دونك يحمل ثقل ذنبى . . ولا لسان من دون ألسنة عفوك يعذرنى لخطيئتى ولا أحد من خلقك يستطيع أن ينظر إلىّ لقبح ما شوهتنى به خطاياى ولا معرفة من معارف خلقك تستطيع أن تتنصل لى إليك وهى ترى ذنبى فى تعرفك .

فلا وعزتك ثم لا وعزتك مالى مجير منك إلا أنت ولا لى مستنقذ من سخطك إلا أنت ولا لى كيف كنت إلا أنت .

مولاى أسألك برحمانيتك أسألك بنورك أسألك بجمالك أسألك ببهائك أسألك بك بذاتك بوجهك بنفسك بجنبك بيدك بروحك

بعينك بيتك بصمديتك بكلية أوصافك بجمعية أفعالك . . بكل ما أضفته لنفسك وعظمته فى تعظيمك . . أسألك عفو الصفح والكرم وستر التوبة والإنابة .

شهود الوحدانية فى الأشياء

شواهد الوحدانية فى الأشياء إنها جميعاً مخترعة من لدن واحد ووصفها كلها واحد وهو التقليب والإبادة وهيئتها كلها واحدة وهى المحدودية ودلالتها كلها واحدة وهى القدرة ومعارفها كلها واحدة وهى الإقرار وإقرارها كلها واحد وهو الجهل وأعيانها كلها واحدة وهى الوجود فلا يزال وجوده يحطم وجوداً حتى لا يبقى وجود .

وتراجمها كلها واحدة وهى الإبانه وسكونها كلها واحد وهو الترتيب وحركتها كلها واحدة وهى التركيب وأحكامها كلها واحدة وهى المشيئة وأفعالها كلها واحدة وهى المراد ومبلغها كلها واحد وهو العجز ومحلها كلها واحد وهو المكان وضعفها كلها واحد وهو أنها حادثة .

الحرف موقوف على هيئته وهيئته موقوفة على تصريفه وتصريفه موقوف على علومه وعلومه موقوفة على أحكامه .

الحرف مقام حجاب . . جمع الحرف مقام تأليف تفريق الحرف مقام إبادة .

الحروف مادة السوى ومادة الخواطر .

ما خطر لك خاطر فلم تنفه فما أنت منى ولا أنا منك .

خطر لك خاطر فنفيته . . أنت منى على حكم ما نفيت وأنت من الخاطر على حكم ما حبسك .

لا يخطر بك خاطر أنت منى وأنا منك .

خطر بك خاطر فقبلته ثم نفيته فأنت منه (وإلا فلماذا قبلته) .

خطر بك خاطر فنفيته حين خطر ما بك خاطر ولا أنت منه .

وقال لى : . . إن أكلت بشيء شربت به وإن شربت بشيء سكرت به .

وقال لى : . . لا تأكل بالسوى فتشرب به ولا تشرب بالسوى

فتسكر به .

تأكل به تعتمد على أصوله وتشرب به تركن إلى علومه .

وقال لى : . . إذا لم تأكل بالسوى ولم تشرب بالسوى قلت فصدقت فألزمت وفعلت فأخلصت فنفذت فجاءنى قولك وفعلك بلا حجاب فأقررت قولك فى صحفى وأقررت فعلك فى عبادتى .

وقال لى . . يا عبد إن مجدتنى بتمجيد الحرف لهوت بلهو الحرف .

يا عبد إن تبت بلسان الحرف نقضت بلسان الحرف إن أطعت بلسان الحرف عصيت بلسان الحرف .

يا عبد نزه تمجيدى عن الحرف ومبالغ الحرف وقدس تقديسى عن المبالغ ومطلع المبالغ اكتب سبحتك بيدى على ظلى وأجعلك إذا التقينا من أهلى .

أصحاب الرونق والزخرف

يا عبد أنا علمك وإلا فلا علم لك وأنا وجدك وإلا فلا وجد لك وأنا سمعك وإلا فلا سمع لك وأنا بصرك وإلا فلا بصر لك .

يا عبد حَجَبت بنعيم الدنيا فهو النعيم الحاجب وكَشَفت بنعيم الآخرة فهو النعيم الكاشف .

يا عبد انظر إلى زخرف ما بنته فى الدنيا أيدى العاصين وانظر إلى ترصيف ما ألفته أفكار الساهين فلا بطاعتهم رونق ما حسنوه ولا بمعارفهم بهاء ما ألفوه ورصفوه .

يا عبد انظر إلى أفئدتهم تُقِرّ لى ولا تَعْقِد وانظر إلى ألسنتهم تُقِرّ لى ولا توجب .. ترى الأقوال لا تقلهم بمقولاتها إلى مفعولاتها وترى الأفعال لا تقسم لهم بأمانى صفاتها حظًّا من مشهوداتها (وهو ما يقول عنه القرآن إحباط الأعمال . . وقدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)

مناجاة

إلهى أنت تعلم العلم ولا يعلمك وتعرف المعرفة ولا تعرفك .

إلهى أرنيك فى تقليبك وأشهدنيك فى تربيتك وأوجدنى بك فى إشهادك حتى لا تكون علىَّ لسواك ربانية الحكم ولا رهبانية العلم ولا معنوية الإسم .

إلهى أنت أعلم بى بما خلقتنى فأنت أعرف بدواعى نفسى بما اخترعتنى وأنت مولاى الغنى عنى كيف صرفتنى وأنت ربى .. أنت أرحم الراحمين كيف قلبتنى .

إلهى أَوْحِشْنى من كل شىء بأنس نعمتك وأرنى فى كل نعمتك وجوه معارفك وتولنى فى معارفك بعلوم ربانيتك وأرنى أنوارك بتبصير هداياتك .

إلهى عزَّت أوصافك على حروف الناطقين وعلت أذكار قدسك على أفكار الصامتين فما سبحتك خليقة إلا وتسبيحك أكبر ولا حمدتك برية إلا وثناؤك أعظم .

إلهى أنت الدليل على دلالاتك وأنت المبين على تبيانك وآياتك .

إلهى رجعت المعارف من دون معرفتك حيرى ورجعت أبصار القلوب من دون بهاء عظمتك كليلة .

اللهم إنى أعوذ بك أن أعلم علماً إلا بك ، أو أريد علماً إلا لك ، أو أعمل عملاً إلا لوجهك ، أو أتوجه وجهة إلا فى طاعتك .

اللهم إنى أعوذ بك أن أسعى سعياً إلا فى مرضاتك أو أقلب جنباً إلا على خيفتك أو أفتح عيناً إلا على آيتك أو أصغى سمعاً إلا إلى موعظتك .

اللهم إنى أعوذ بك أن أُعمل فكراً إلا فى خشيتك ، أو أمضى عزماً إلا فى سبيلك أو أبذل نفساً إلا فى ذاتك ، أو أنفق مالاً إلا فى حقك .

***

هو حقيقة هى هو فلا تعبر عنه هو حرفية ولا تخبر عنه هو لفظية (لأن هو اللفظية تعنى المذكر والله ليس بالمذكر ولا بالمؤنث) .

والحرف لا يمكن أن يعبر عن الله سبحانه لأنه من مخلوقاته .

والحرف كله سرادق إظهار لما يبدى الله سبحانه من الباديات .

والسرادق فى مقر والمقر فى مستقر والمستقر فى إقرار والإقرار فى قرار والقرار فى تمكين والتمكين فى حرف من حروفه (تعنى كلمة سرادق ومقر ومستقر حالة الحصر والمحدودية التى تتصف بها الأشياء التى تتناولها الحروف والتسمية .. ثم إن كل هذه الأشياء فى حالة إقرار وعجز لخالقها .. وهو الوحيد الذى يُمكِّن لها فى الدنيا ثم يبيدها حينما يشاء) .

الحرف حجاب على معنويته ومعنويته حجاب على ماهيته .

الحرف حجابى الذى لا تخرقه الخوارق ولا تلجه الوالجات إلا بإذنى .

أعلى الحرف اسمى وأوسط الحرف عزيمتى والحرف كله لغتى وألسنتى .. فالمَلَك يستجيب للاسم لأنه بابه والجنى يستجيب للعزيمة لأنها بابه والإنسان يستجيب لجميع الحرف لأنه بابه .

قال لى : يا عارف إيمانك بإيمان الخلق وهو أكثر ومعصيتك بمعصية الخلق وهى أكبر .

وقال لى : لولا العارفون أخذت الكل .

وقال لى : العابدون أوتاد الأرض والعارفون أوتاد الذكر .

وقال لى : ما قبضت عابداً حتى قبضت به بركة ولا قبضت عارفاً حتى قبضت به معرفة .

وقال لى : العابد كالماء يسقى الأرض ولا يأكل من ثمرها والعارف كالآيات يحث الأذكار ولا يشرب بأكوابها .

وقال لى : العارف يجرى فى الذكر ولا يشربه كراكب البحر يسرى فى البحر ولا يشربه ، إن أكلت بشىء شربت به وإن شربت بشىء سكرت به . لا تسكر بسواى تكن عارفاً .

أول مِنَّةٍ من الله للمريد أن يحادثه ليُعَرِّفه ويتعرف إليه ، فإذا عَرَفَهُ العارف وأخلص له العمل والنية وصبر له ورضى بحكمه أشهده ، فإذا أشهده ثبته ، فإذا ثبته أعطاه عهد ولايته ، فإذا أعطاه عهد ولايته اصطفاه ، فإذا اصطفاه ائتمنه ، فإذا ائتمنه كشف له عن خزانة أسراره ، فإذا كشف له عن خزانة أسراره فهو الخليل . والخُلَّة فرع من مقام المحبّة وليس بعد مقام الخلة إلا مقام المحبة وهو مقام لا من مقام فهو مقام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وفى مقام المحبة يتنقل العابد من موقف الاطلاع إلى موقف القطع إلى موقف السكون ..

وبهذا تكون المقامات فى مراتبها تتصاعد من المحادثة (التعرف) إلى المعرفة إلى الإشهاد (بالإخلاص والصبر والرضا) إلى التثبيت إلى التمكين إلى الولاية إلى الاصطفاء إلى الائتمان إلى الكشف إلى الخُلَّة إلى المحبة ، وفى المحبة يتنقل المحب من الاطلاع إلى القطع إلى السكون .

وقُرْب له سيماءُ حبٍّ إذا بـدا
طَوَى كل بيْنٍ فانطوى حيّزُ الإسم

العلم . المعرفة . الوقفة . الرؤية

العلم دليلى والمعرفة طريقى والوقفة متحدثى والرؤية وجهى . « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

العلم تظهر فيه أحكام النفوس والمعرفة تخفى فيها أحكام النفوس (لأن المعرفة تمحو حظوظ النفس وبالتالى ما يرتبط بها من أحكام وتحل مكان الوجد بها من القلب) .

أهل العلم أهل الماء والظل ، وأهل المعرفة أهل التحف والكرامة ، وأهل الوقفة أهل الأنس والمحادثة ، وأهل الرؤية أهل الأسرار والمجالسة .

الوقفة باب الرؤية لا يوصل إليها إلا منه والمعرفة باب الوقفة لا يوصل إليها إلا منه ، والمِنّة باب المعرفة لا يوصل إليها إلا منه ، والعلم دليلى إلى المعرفة

المعارف تجرى فى الوقفة كجرى الماء فى السهل .

الوقفة ظلى والمعرفة ظل العرش والعلوم ظل الجنة .

غرقت الدنيا والآخرة فى الحرف وغرق الحرف فى المعرفة وغرقت المعرفة فى الوقفة وغرقت الوقفة فى الرؤية ، ودامت الرؤية لأهلها فداموا فيها ونطقوا بنطقها عنها فهم سفراء السفراء وأمراء الأمراء .

ليس فى الرؤية وقفة ولا عبارة (فقد غرقت الوقفة والمعرفة والعلم والحرف والعبارة) فمقام الرؤية مقام فناء الأشياء .. لا شىء سوى وجهه سبحانه ولا يبقى سوى وجهه الكريم .

قال لى .. أنا الذى لا يقوم له شىء ولا يثبت له شىء ولا يدوم معه شىء ولا يصير عليه شىء فمن أوقفته فى وقفتى أو أشهدته رؤيتى أدمته ما أشاء لأحييه وغيبته ما أشاء لئلا يبيد .

وقال لى .. الواقف لا تستضيمه الأكوان ولا تعتوره الأحداث .. إن سرى فهو فى حمى وهو حمى وإن حل فى وقاء وهو وقاء .

صاحب الوقفة بشير ونذير وصاحب الرؤية شافع وضامن (ليس كما رأوا شىء وليس كمثلهم فى الكيان كون) .

قريب فلا ينقال قربه (فهو أقرب إلينا من حبل الوريد) ، وبعيد فلا ينقال بعده ، (فهو المتعال) وظاهر فلا يدرك ظهوره (ظاهر بالكرم والنعم والآيات محتجب بالعزة والجلال) ، وباطن فلا يكشف حجابه (إذ ليس كمثله شيء) .

السموات والأرضين أثبتهما بحكومته وأوجدهما إتياناً به فقال« اِئْتِيَا طوعاً أو كرْهاً » قالتا « أتينا طائعين » فبه سمعا وبه قالا وبه أطاعا .

فلا شهود إلا به ولا حجاب إلا به
وكل محجوب لسواه باد لسواه

أوقفنى وقال لى :

حجابك كل ما أظهرت وحجابك كل ما أسررت وحجابك كل ما محوت وحجابك كل ما كشفت كما حجابك ما سترت .

وقال لى : .. حجابك نفسك وهو حجاب الحجب إن خرجت منها خرجت من الحجب وإن احتجبت بها حجبتك الحجب .

وقال لى : .. لا تخرج عن نفسك إلا بنورى فيحرق الحجاب نورى فتراه كيف يحجب وبم يحجب .

وقال لى : .. ياعبد من رآنى وشهد مقامى حرم عليه حل الطعام فى حجابى .

وقال لى : .. يا عبد لا تقف فى حجاب ولا تقم فى حجاب فيجادلك عنى كل حجاب وأقم عندى أجادل عنك .

وقال لى : .. إن رأيتنى وأقمت عندى .. أنت منى وأنت بى تقف فى ظِلِّى وتُشَفَّع فيمن أشاء من خلقى .

وقال لى : .. إن رأيتنى ولم تقم عندى أنت بى وأنت منى تقف فى رحمتى وترجو عظيم فضلى ومغفرتى .

لا يُخلق القلب شريراً بالجبلة ولا خيراً بالجبلة .. وإنما يُخلق قابلاً للتخلق بأى من الاثنين .. وهو متقلب بينهما بحكم اختياره وهواه .

والقلب يسمع الشىء وضده على اختلاف اللغة ولو خاطبه الكون كله بما فيه فى مسمع واحد وكذلك يجيب إذا أجاب فى جواب واحد .

والعقل ينظر إلى المناظر على تفرعها فى منظر واحد .. أما النفس والطبع فكل منهما لا يستطيع أن يتابع إلا منظراً منظراً على حدة .. إذا تعلق بأحدها انفصل عن الآخر بعكس العقل لا يقتطعه منظر عن منظر ما دام فى مستوى العلم فإذا انتقل من حالة العلم إلى حالة الوجد تعلق بالمنظر فانفصل بالاستماع إليه عما سواه .

والقلب بالمثل لا يقتطعه سمع عن سمع ما دام فى مستوى العلم فإذا حصل له الوجد بالمسموع فصله عما سواه .

فالعلم يُسيِّح ويوسع دائرة السمع والنظر والوجد يحصرها فى نقطة واحدة وموضوع واحد . . . والكون كله خاطر طول الوقت فى القلب والعقل .

وإنما خص القلب بالخواطر لأن حكمها فيه أقوى ولأن محادثة الكون

للقلب قاسمة له عما سواه (عن التفكير فى المكون الخالق) والعقل ينظر إلى الكون وينظر إليه الكون وقد يدخل فى محادثة مع الكون وحكم المحادثة أقهر من حكم النظر الذى لا محادثة فيه .

والقلب مَقيل للخواطر تتبوأ فيه . . . والعقل طريق للخواطر تجوز فيه وتعبره .

وتتفرع الخواطر إلى خواطر إبليسية وخواطر مَلَكية وخواطر ملكوتية وخواطر مُلْكية . .

والخواطر الإبليسية هى الخواطر الشكية والشركية والبدعية والجحدية فأما الخواطر الشكية والشركية فهى تخطر فى فناء الخواطر الملكوتية (لأن الخواطر الملكوتية موضوعها المعارف العلوية الإلهية) . . أما الخواطر البدعية والجحدية فتخطر فى فناء الخواطر المُلْكية (لأن الخواطر المُلْكية موضوعها الحياة والمصالح والمنافع وكل ما يدور فى حياة المُلْك المشهود) .

وألسنة الخواطر علمها وحكمها وحكومتها فإن أصغى إليها السامع شرب بكؤوس علمها وحكمها وحكومتها ووقع فى المحاذير والمزالق التى تحفزه إليها تلك الخواطر وإن لم يصغ إليها ولم يستمع إلى وسواسها رجعت من حيث أتت بما فيها من العلم والعمل والحكم والحكومة .

وعلامة تعليق القلب بربه أن يُكشَف له حين إرسال ألسنة الخواطر إليه عن اصطفاء الرب له بما لا تنقال به عبارة ولا تحمله ترجمة فإذ اقام هذا الشعور فى قلب العبد اقتطعه عن الاستماع إلى الخواطر الشريرة .. وإذا افتقد القلب هذا الشعور تهجمت عليه ألسنة الخواطر وافترسته .

والعابد يصف هذا الشعور القلبى قائلاً ... إنى أشعر أن بينى وبين ربى « عمار » .. وأن هذا العمار يقينى من الزلل .

° أنا صنعت الخلق فأكرم صنعتى .. ولا تغلظ على ما فى صنعتى فإنه فيك فأغلظ عليك كما أغلظت على غيرك ..

° لا تغلظ على أحد بذات نفسك (بقولك أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) فليس لك العزة فالعزة لى وحدى .

° أوقفنى فى الأشياء فقادتنى إلى الأسماء وأوقفنى فى الأسماء فقادتنى إلى المعانى وأوقفنى فى المعانى فقادتنى إلى نفسى وأوقفنى فى نفسى فقادتنى إلى الدنيا وأوقفنى فى الدنيا فقادتنى إلى الشرك والكفر (حيث يعبد الناس ألف صنم وصنم من صنوف الترف والبضائع الاستهلاكية وحيث يعيشون باهتمام مشتت موزع طوّاف بين كافة الرغائب والشهوات) .

وقال لى .. إن كان همك من الطوّافين لم تدخل علىّ .. وقال لى .. انظر إلى الهموم فرأيت كل هم لا يقف بين يديه يقف بين يدى إبليس شاء أم أبَى .. ورأيت إبليس يدعو الهموم إلى أنفسها فتستجيب له وتقف بين يديه محجوبة بأنفسها .

وقال لى أنا أدعو الهموم إلىّ لا إلى أنفسها فلا تدخل علىّ إلا إذا

خرجت عن أنفسها .

وقال لى .. الولىّ هو الواقف بين يدى لا يبرح .

° أوقفنى فى الكمال فرأيت فيه اجتماع الجلال والجمال (صفات الجمال فى الله نجدها فى أسماء الرؤوف الودود الحليم الكريم العفو الغفار الحنّان المنّان الصبور الشكور الرزاق .. وصفات الجلال نجدها فى أسماء الجبار المنتقم العزيز المتعال المتكبر المهيمن الجليل العظيم الكبير المعز المذل القابض الخافض) . وكمال الله فى جمعه بين الحلم والجبروت معاً بين الضدين فى واحد لا تضاد فيه ولا انقسام فهو « السلام » الذى لا تناقض ولا تصارع فيه .

° إذا عرفتنى بى لم يزدك شىء بى معرفة (فإنى سوف أوصلك إلى غاية المعرفة التى ليس بعدها زيادة) .

° أردتك من دون ما خلقت فردنى من دون ما خلقت .

° حد البصيرة معرفة المراد (احتج موسى على خرق السفينة فى سورة الكهف لأنه لم يؤت بصيرة الخضر الذى أدرك المراد وعرف أمر الملك الذى يأخذ كل سفينة غصباً) .

° حصر الحكومة فى الله لسان الاستعفاء (إذا أدركت أن الحاكمية لله وحده فإنك سوف تستعفى من التدخل وتسقط كل التدبير) .

° زيارة الواجدين بغير وجد هَجْم (مخالطة الرجل لأهل التصوف دون أن يكون له ذوق فى أحوالهم تهجم) .

° فوت الحظ مع فوت الرضا سقم .

° دعك فى تركك الظفر بك (أى تظفر بنفسك إذا استغنيت وفى المعنى

أيضاً أنك إذا أهلكت نفسك فزت بها) .

* العادة تصنع من أوزار القوم أصناماً تعبد تستمد سيطرتها على الناس من الألف والتكرار مثلها مثل السامرىّ الذى صنع من الحلى التى سرقها بنو إسرائيل عجلاً يُعبد له خوار .
* يا عبد إن أردتنى فاترك سواى وإن رآنى واترك ما رأى ولو بى أنى ... يا عبد اطمأننت بمعرفة سواى فانبذ معرفتى وراء ظهرك .
* شرط الرضا أن يستوى المنع والعطاء .
* العلم لسان الظاهر والمعرفة لسان الباطن .
* البوادى كلها حكمها الروع . . والخطر مصحوب كل حكم (لأن كل ما يبدو من الظواهر مآله الفناء) .
* العلم شِرْب النفس والمعرفة شِرْب القلب والحكم شِرْب العقل والحكومة شِرْب الروح .
* الجهل خاطر فى العلم والعلم خاطر فى المعرفة والمعرفة خاطر فى التعرف والتعرف خاطر فى الوقفة والوقفة منتهى والمنتهى لا خطر ولا خاطر .
* العقل آلـة العلم والعلم آلـة المعرفـة والمعرفـة آلـة التعرف وليس التعرف آلة ولا الوقفة آلة — ولكل آلة يدان ولكل يد قبض وبسط وفى القبض والبسط شواهد الاختلاف وما ليس بآلة فلا اختلاف فيه .
* إن لى عباداً ناطقين ما كلموا سواى ولا يكلمون .. كلِّمنى ولا تكلم سواى ما استطعت .. تكن عبدى الناطق .. وأجعل لك شفاعة .

إن لى عباداً صامتين رأوا جلالى فلا يستطيعون أن يكلموه ورأوا بهائى فلا يستطيعون أن يسبحوه فلا يزالون صامتين حتى آتيهم فأخرجهم

من مقام صمتهم إلىّ .. اصمت لى ما استطعت تكن عبدى الصامت .

عبدى الصامت أتلقاه قبل موقفه وأشيعه إلى داره .. وهو أول من أدعوه إذا جئت .

بين النطق والصمت برزخ فيه قبر العقل وفيه قبور الأشياء .

* إنما أحادثك لترى لا لتحادث .. إنما أقول لك .. هذه رؤيتى لتتبين فى معرفتى لا لتدل علىّ من لم يرنى .. إن هداى ليس فى يدك .. فإذا حادثتك رأيت .. فإذا رأيت فلا حديث .
* كل ما لا يطلع عليه نورى فى النار .. وكل ما طلع عليه نورى يرانى .
* القلوب المستقرة هى قلوب الحضرة .. لا تتقلب بالخواطر لأنها رأتنى قبل « كن » (قبل أن أبدى وقبل أن أفعل) فلما جاءت « كن » وجاءت الخواطر أوقفتها فى مقامها دون الحضرة .
* اطرح ما أسررت به إليك اطرح ما أعلنت به إليك .. أنت أكرم علىّ مما قلت لك وأقول فكيف تحمله إلىّ وأنت أعز عندى مما قلت لى وتقول فكيف تحمله إلىّ .. فلا تكن مطية سواى فيصحبك البلاء وتستتر فيه العافية .. كن لى وليس لكلامى (وهو إخلاص الوجه للذات .. لذات الله دون أى شىء) .
* يقول الله لعبده المقرب الذى يضن به على أى مقام .. يا عبدى سوف يدعوك كل عارف إلى معرفته وذلك حق عليه فلا تخرج أنت من معرفتك إلى معرفته فذلك حق عليك .
* أى باد بدا فمقامه خلفك .. خلف قلبك .. فأقمه فى مقامه .. تقم لى وتأتيك قيوميتى فتقيمك لى وتمسكك علىّ .. لأنك أكرم علىّ مما أبديت

ومما قلت لك ولأنك أعز عليّ مما قلت لى .

* لى من ربى مقام لا أمر فيه ولا نهى وذلك مقامى الذى أرى ربى فيه فلا يستطيعنى مَلَكَ فى مَلَكَانيته ولا يستطيعنى جن فى جنيته ولا يستطيعنى حرف فى حرفانيته ثم لا يستطيعنى كون فى كونيته .
* من رآنى كان ذنبه أعظم من الكون عظماً وكان نكاله أقبح من النكال خبراً .
* قال لى .. لا أرسل إليك العلم ولا أرسل إليك المعرفة بل أرسلك إلى كل شىء لتكون لك عليه ربانية الإرسال .. فقف فى حضرتى آمرك بكل شىء ولا آمر شيئاً بك .
* أوقفنى فى حضرته التى هى أبد الآبدين وسرمد السرمدين فرأيت الستور والستائر والحجب والحجاب كل ذلك ممدود فى وجه من يطلب منه .. ورأيت كل ذلك مكشوفاً عن وجه من يستسلم له .
* إذا رأيتنى فعين البشرية لا حكم البشرية (أى لا غفلة وإن ظللت أسير الضرورات البشرية) وإذا لم ترنى فعين البشرية وحكم البشرية .
* إذا داويت الحاجة بغفلة ازددت حاجة .. وإذا داويت الغفلة بالتمنى ازددت غفلة .
* إن دمت فى رؤيتى أوحشتك منك كما تستوحش من عدوك .
* كل الأمور تعلمها ثم تشهدها بقدر ما علمت منها إلا الأمور الربانية . فإنك تشهدها أولاً ثم تعلم علومها فيما بعد .
* إذا رأيتنى صارت العلوم والمعارف حطباً لنارى فإن رمتها ألحقتك بها .
* لا تعرفنى أو تطرح هواك ولو جاءت به يدى .

* لا تشهدنى أبداً بمعناك لأن معناك لا يحمل إلا معناه وإنما تشهدنى باشهادى .
* الإظهار كله حدود ، والحدود كلها صور ، والصور كلها أجناس ، والأجناس أشباه وأضداد ، والأضداد تأتلف وتختلف .

والأظهار حجابى وعلومه حجابى ، وما سميت الظواهر لأعرِّف بها وإنما لأحجب بها فإن طرحت التسمية نفذت وإن نفذت عرفت .

* مولاى لا يستقل علمك بتأدية أمرك فهو عنك فى عمى إن هديته فبفضلك وإن حجبته فالحجة لك فهو لا يشهد إلا جهله

يمشى به فى نوره علماؤه

* أقصى هم القلب يتعلق بالمعيشة فمن أصلحها صلح ومن أفسدها فسد وليس إلى عدم الفكر فيها سبيل بحال لأنها أصل البلاء الذى ركِّب عليه تركيب البشرية .
* حقيقة كل شىء مجهولة للشىء فما يعلمها ولذا يعجز الإنسان عن علم نفسه ويفوته درك نفعه وضره .. وهو عن العلم بربه أعجز

لا يستطيعُ علومه خصماؤه
أبداً ولا يشقى بها رحماؤه
رب تعالى أن يُعَرَّفَ بالذى
تجرى الحروف به وجل ثناؤه

* يا عبد ثَبّتَ عقلك فى طمأنينته فانظر إلى ما به اطمأن فهو مبلغه وانظر إلى مبلغه فهو جوهره وانظر إلى جوهره فهو عينه التى تنظر فإن كان السّوى مبلغه حارت أولاه وخسرت عقباه . وإن كان ذكرى

مبلغه ورؤية منارى تعلقه ثبتت ثوابته فلا تميل واستقامت بصائره فلا تزلّ .

* من كان يعمل للثواب فتر بدخول التمنى ومن كان يعمل خوفاً من العقاب فتر بحسن الظن ومن كان يعمل لوجه الله لا يفتر .
* حينما يتكلم أهل الرؤية عن فقد رؤية السوى فإنهم يقصدون أنهم فقدوا رؤيـة السوى فيما يبدو لهم من الباديات .. فالعلم مثلاً يبدو من الكتاب والكتاب من المعلم والمعلم من المدرسة ... ولكنهم يقولون العلم من الله ويفقدون رؤية هذه السلسلة من الأسباب . فالباديات عندهم من الحق تعالى وحده وإن أبداها من الجهات .
* الخوف كله يتعلق بالخلاف .. خلاف ما طرق السمع وخلاف ما رأت العين وخلاف ما ألف العقل .. ولهذا لا سبيل إلى ارتفاع الخوف عن الإنسان بحال إذ لا سبيل له إلى التمام .
* أدلة اليقين أربع ... رؤية النعمة وخوف الحجاب وتلقى التعرف والإعراض عن السوى ، وقواعد الهوى أربع ... الحرص والطمع والكبر والأمل ..
* الشح يصحب كل شيء إلا المعرفة والمعرفة تنافى كل شيء إلا الخوف .
* اليقين والتقوى قرينان إن غاب أحدهما غاب الآخر .

والصبر والرضا قرينان إن غاب أحدهما غاب الآخر .

والخلوة والعبادة قرينان إن غاب أحدهما غاب الآخر .

* إلهى بادت البوادى فلا تثبت لدوامك ومادت الأواخر فلا تثبت لقيامك .

* يا عبد من عقِلَ عنى حاسبته على الماء والنفس .
* يا عبد إذا تعرفت كدت ألا أقبل المعذرة .
* يا عبد التعرف بما لا ينقال يُلْزِم والتعرف بما ينقال يُطالِب .
* لا معرفة إلا بمنّة وفضل من الله فإذا عرّفك أوقفك وإذا أوقفك أشهدك

فلا مستقرٌ دون عفوٍ ورحمـةٍ

سلام على تلك الرمائم فى الترب

***

مذهب النفري في المعرفة الإلهية

تعقيب للمؤلف

لا ينفرد النفّرى بمذهب خاص للمعرفة الإلهية فهو يسلك الدرب نفسه الذى يسير عليه عموم الصوفية ولكنه ينفرد بقدرة مذهلة على التعبير ولغة ملتهبة تكاد تكون نسيجاً متميزاً بين لغات المتصوفة فالكلمات فى يده تكتسب طواعية ومرونة وشفافية وتتفجر بأعماق جديدة من الحقائق وكأنما يكتب من نبع صاف ويدلى بدلوه فى عين رائعة من عيون الحكمة الربانية .

نحن أمام دليل ماهر يسلك بنا الطريق نفسه ولكن نور كلماته يكشف لنا فى كل خطوة عن خفايا جديدة ومزالق غابت عن الأدلاَّء الذين سبقوه على الدرب .. ويخترق بنا المعانى العصيَّة ويضىء الغيوب المقفعة بالأسرار وكأنه شعاع ثاقب من النور الإلهى لا يقف أمامه شىء ..

وأى شرح للنفرى هو نوع من المصادرة والحجر وهو إفقار وليس إخصاباً لمعانيه فكل كلمة من كلمات النفرى بحر أعد لكى ينهل منه كل واحد على قدر سعة فمه وعلى قدر سعة قلبه واستعداد بصيرته ،

وتبسيط النفرى للعوام جريمة فهو يتكلم للخاصة وخاصة الخاصة وما يلقيه من الكلمات درر لا يعرف قيمتها إلا المشتغلون بالجواهر .. والأعماق

التى يبحر إليها ذلك الملاح العظيم يغرق فيها الرجل العامى ويتوه ويضل ويضيع .. ولا أبالغ إذا قلت إن كثيراً من الأسرار التى تعرض لها النفرى هى من قبيل العلوم المحظورة على العوام وهى من ذلك العلم المكنون المضنون به على غير أهله ..

ولهذا آثرت ألا أشرح النفرى إلا فى أضيق الحدود وأن أحافظ على كلماته وعباراته حتى يظل بحراً عصياً لا يرتاده إلا القادر عليه ولا يخوضه إلا من كان أهلاً لهذه الملاحة الصعبة فى هذا اللون النادر العزيز من المعارف . واكتفيت بهذا التعقيب الذى حاولت به أن أتلمس جوهر فكره .

والنفرى كأى صوفى لا يشغله إلا شىء واحد .. هو الله ... معرفة الله والوصول إليه ورؤيته والفهم عنه والاستماع إليه ومكالمته ومجالسته والبقاء فى الحضرة والمعية والصحبة الشريفة العلوية .. عند عتبة المنتهى .. منتهى ما تستطيع روح بشر أن تحلق وهو مثل سائر الصوفية لا يرى طريقاً إلى هذا سوى « التجرُّد » « وخلع النعلين » « فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طُوًى » (١٢ – طه) .

والنعلان هما النفس والجسد .

أى لابد من التجرد عن النفس والجسد والانخلاع من النفس والجسد يقول له ربه :

« أنا الله لا يُدخَل إلىَّ بالأجسام » .

كيف تخرج عن جسمك وأنت فى جسمك وكيف تخرج عن نفسك وأنت فى نفسك .. دون الوقوع فى رهبانية خاوية وزهد فارغ مبتذل .. هذه

رحلة النفرى الغريبة والمثيرة .. وأول قطار ركبه النفرى فى هذه الرحلة هو العلم ..

والعلم عند النفرى مطية ودابة تركبها لهدفك وأخطر الخطر أن تدعها هى التى تركبك وتقودك وتجعل من نفسها هدفاً لك .

فالعلم (وهو تحصيل المعلومات الجزئية عن الأشياء وروابطها وعلاقاتها) لا يصلح لأن يكون هدفاً .

وهو هدف المحجوبين والجهال من العلماء الذين تقف همتهم عند إدراك الأشياء وعلاقاتها .. أما أصحاب الهمم العالية فالعلم لا يصلح لهم هدفاً بل هو مجرد وسيلة إلى غاية أخرى هى المعرفة .

والمعرفة عند النفّرى غير العلم ، فالعلم تنتهى حدوده عند إدراك الجزئيات والمقادير والعلاقات بين الأشياء ، والقوانين التى تربطها .

ومنتهى العلم أن نكتشف أن جميع الأشياء الحى منها والميت مخلوقة من خامة واحدة ومركبة بخطة واحدة وأسلوب واحد فكلها بدأت من ذرة بسيطة هى ذرة الأيدروجين انفرطت وأعيد تركيبها داخل الأفران النجمية الهائلة إلى عديد من التواليف هى ذرات العناصر الـ ٩٣ ومن أحد هذه العناصر وهو الكربون نشأت المادة الحية ومنها جاءت عائلة الأحياء كلها ..

ثم إن هذه الأحياء من نبات وحيوان وإنسان بنيت أيضاً بخطة واحدة ومنهج واحد وأسلوب واحد فهى من خلايا متشابهة فى الجميع تتنفس وتتكاثر وتتحرك وتتغذى وتطرد مخلفاتها بطرق واحدة وبأعضاء متشابهة وأجهزة متشابهة وقوانين متشابهة ، ثم هى تموت وتتعفن وتتحلل إلى تراب بتحولات كيمائية واحدة .

وإذا كان الكون بكافة صوره وتواليفه مخلوق من خامة واحدة على مقتضى خطة واحدة وأسلوب واحد وقوانين واحدة .. فخالقه بداهة لا بد أن يكون واحداً .

وهذا منتهى ما توصلنا إليه رحلة العلم .

وطبيعى بعد بلوغ هذا المدى أن نشد رحالنا إلى ذلك الواحد .. محاولين أن ندركه .

وهنا نكتشف أن دابة العلم لم تعد تصلح لسلوك باقى الطريق .. فنحن أمام حقيقة لا يمكن إدراكها بالحواس ولا رصدها بالمجهر ولا قياسها بالبرجل ..

إن الواحد الذى نطلبه هو فوق إدراك وسائل العلم ومتعال على الحواس وهو من وراء الأسماع والأبصار .

وهنا لا بد أن نغير المطية ونستبدل المواصلة ونودع قطار العلم فلم يعد للعلم جدوى لأننا سوف نخرج من عالم الجزئيات من عالم الأشياء (عالم الملك والملكوت) إلى عالم الكليات (الجبروت) إلى العالم الإلهى .

ولن تجدى الحواس ولا المنطق العقلى ولا التحليل العقلى ولا الأدوات المعملية فى إدراك العالم الإلهى ، فلا بد من الخروج من ذلك القطار العاجز الذى اسمه العقل والمنطق العقلى والحواس الخمسة ، ومن العلم ووسائله ومختبراته إلى مرحلة جديدة يسميها النفّرى .. المعرفة ، ويفرق بين المعرفة والعلم بأن العلم يبحث فى الكون والمعرفة تبحث فى المكوِّن .. العلم يبحث فى الأشياء المتعددة والمعرفة تبحث فى الواحد .. العلم يبحث فى المادى والمعرفة تبحث فى الغيبى . ولهذا كانت وسائل العلم المسطرة والبرجل والمجهر

والحواس الخمسة والتحليل العقلى أما وسائل المعرفة فهى القلب والبصيرة والوجدان الصوفى .

ولا يمكن البدء فى رحلة المعرفة إلا بالخروج من قطار العلم وقيوده وضوابطه من عقل ومنطق وحواس خمسة وأدوات مادية وهذا يستلزم التجرد من العالم المادى كله .

ولكن العالم المادى هو معشوق النفس ومجالها .

وما العقل والمنطق والعلم إلا خُدَّام النفس ومطاياها للتسلط على هذا العالم المادى وحيازته وامتلاكه وتكريسه لإشباع أهواء النفس وملذاتها .

ولا خروج من العقل والمنطق ولا خروج من أسر الحواس ولا خروج من سيطرة العالم المادى إلا بالتجرد عن النفس وهزيمتها وقمعها وإخضاعها وتكميمها وإسكات رغباتها .

وهو ما يسميه النفرى بالخروج من النفس أو عبور النفس وتجاوزها ويلخص هذا العبور فى كلمات قليلة بليغة .

اخرج عن نفسك اخرج عن همك اخرج عن علمك اخرج عن عملك اخرج عن اسمك اخرج عن كل ما بدا (أى من ظواهر الكون المادى كله) .

وماذا بعد ذلك ؟

يكون مطلوبك هو الله .

وهمك هو الله .

وذكرك هو الله .

ونطقك هو الله .

وفكرك هو الله .

والبحث فى الله يبدأ بالبحث فى الأسماء والصفات والأفعال ثم ينتهى إلى الذات فلا فعل للأسماء الإلهية والصفات الإلهية إلا بالذات الإلهية .. الذات هى التى لها القيومية والصمدية والأحدية والأحقية وبها يكون للأسماء وجود وأثر .. وما الأسماء إلا متعلقات للذات وهى من قبيل الوجود الممكن .. أما الوجود الواجب الحق فهو للذات وحدها ..

وببلوغ رحلة المعرفة إلى الذات تنتهى المعرفة إلى العجز كما انتهى العلم إلى العجز من قبل ويدرك العابد عجزه وحيرته كما يدرك أن عجزه عن الإدراك هو عين الإدراك فهو أمام ما ليس كمثله شيء ..

وهنا يلزم تغيير المطية واستبدال المواصلة ..

يلزم الخروج من المعرفة كما خرجنا عن العلم من قبل .. إلى مرحلة جديدة يسميها النفرى .. الأدب .. وفى مكان آخر .. الوقفة .. حيث لا سبيل إلى انتقال وحيث انتهى الطريق إلى الغيب المطلق .

وهنا يقول النفرى إنه يلزم الخروج من الحرف ومن كل ما يحتوى عليه الحرف (الحرف يحتوى على كل العلوم والمعارف والخواطر والعبارات والمعانى) .

اخرج من الحرف والمحروف .

وبخروج العابد من الحرف والمحروف يخلو قلبه من الخواطر والعبارات والمعاني والحقائق الحسية الأرضية بأكملها ويتطهر ليتجلى الله عليه .

وهنا تأتي مرحلة الرؤية ..

ثم بعدها الرؤية الكبرى .. أى الرؤية فى جميع الحالات .

ثم بعدها المجالسة والمعية والصحبة والحضرة الدائمة مع الله .

وهو مقام الخلة والمحبة .. مقام الأنبياء المقربين ومن فى درجتهم من الأولياء أحباب الرحمن .

ولا يذكر لنا النفرى ماذا يرى فى حالات التجلى والرؤية القلبية فهى من الأسرار المحظورة .

ويشير إلى أسرار الحروف الإلهية والأسماء الإلهية دون أن يبوح بها يقول له ربه :

تعرف سر الحروف وأنت فى بشريتك يختبل عقلك .

تعرف سر الأسماء وأنت فى بشريتك يختبل قلبك .

يا عبد لا إذن لك ثم لا إذن لك ثم سبعون مرة لا إذن لك أن تبوح بما استودعتك من أسرار حروفى وأسمائى ولا كيف تدخل خزائنى ولا كيف تقتبس من الحرف حرفاً بعزتى وجبروتى .. ولا كيف ترانى .

وهنا يصل بنا النفرى إلى حافة الغيب المغيب حيث كل شىء محظور إلا على أهله ..

* * *

ويتكلم النفرى عن النفس والـ أنا والذات البشرية .. بأنها ستر وحجاب وأنها خلعة خلعها الله علينا .. يجب أن نردها إليه .. كما نرد فضل كل شىء إليه .. فالذات لله وحده وليس لنا منها شىء على الحقيقة

يقول له ربه فى لحظة التجلى :

ليس بينى وبينك أنت

ليس بينى وبينك بين .

أنت منظرى

لا ستور مسدلة بينى وبينك

أنت تلينى وكل شىء فى الكون يأتى بعدك

أنت فى هذا المقام لا يستطيعك الكون ولا تقوى عليك جنة ولا نار .

وهو مقام الخلافة العظمى التى يكون فيها للعبد ربانية على الأشياء ...

ويكون هو العبد الربانى الذى قال عنه القرآن :

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى .

ويقول عنه الحديث القدسى :

عبدى أطعنى أجعلك ربانياً تقل للشىء كن فيكون .

وفى حديث قدسى آخر :

تسمع بسمعى وتبصر ببصرى وتبطش بيدى .

وهو مقام عيسى عليه السلام حينما أحيا الميت بإذن الله وحينما نفخ فى الطين ليكون طيراً فكانت طيراً بإذن الله .

ومقام محمّد عليه الصلاة والسلام حينما رما برمية الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ويقول النفرى إن العبد يفعل فى هذه اللحظة بذات الله لا بذاته فقد غاب عن ذاته وقمعها وأسكتها وردها إلى خالقها .

والذات البشرية هى عند النفرى عدو وهى التى تقسم الإنسان فى الدنيا إلى شاهد ومشهود إلى ذات وموضوع ولا سبيل إلى الخروج من هذه القسمة الوهمية إلا بمجاهدة النفس وقمعها والخروج منها والفناء عنها وبذلك يسترد العبد وحدته وأحديته وفردانيته ويخرج من الانقسام ويعود إلى بساطة الجوهر الفرد ، وهى حقيقته كروح جاءت من الله وتعود إلى الله .

ولهذا يعتبر النفرى أن الخروج من النفس والخروج من العقل هو

الخروج من الخطر ويقول له ربه وقد خرج من الاثنين .

لقد خرجت من الخطر .

ولا خروج من العبودية أبداً خلال هذه المراحل . . وإنما هناك مزيد من العبودية فى كل مرحلة .

وفكرة العبد الربانى عند النفرى لا تعنى أبداً أى خلط بين العبودية والربوبية ولا تعنى خروج العبد من عبوديته ولا تعنى إضفاء طبيعة الخالقية على المخلوق فى ذاته وإنما هو فضل من الله وقوة يفيضها الله على العبد المقرب بإذنه .

يقول الله لعيسى :

« وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونَ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي » (١١٠ – المائدة) .

فكل ما يحدث إنما يحدث بالإذن الإلهى . . ولا يصح أن نخلع عن العبد عبوديته أبداً ، إنما هو مجرد ارتفاع إلى رتبة شرفية من رتب العبودية . . تم فيها الخلافة ويصبح العبد فيها خليفة حقاً وحاملاً لأختام الملك ومنفذاً للأوامر بإذنه وهذه هى رتبة العبد الربانى .

وربما كانت أصدق كلمة تلخص مذهب النفرى فى المعرفة الإلهية هى كلمة . . التجاوز أو العبور أو العلو . . وهو ما يسمونه فى الاصطلاح الفلسفى الأجنبى TRANSENDANCE وفى اللغة الدينية . . خلع النعلين . . بالخروج من النفس والخروج من الجسد . . والانخلاع من إسار المادة ومن قبضة المنطق الشكلى . . والعلو . . والتجاوز من أفق فى الوجود إلى أفق أعلى ثم إلى أفق أعلى مع لزوم العبودية طول الوقت والإخلاص فيها والاستغراق فيها

وسجود القلب على الدوام ... وهو تلخيص مخل مهما استعرت له من ألفاظ .

والحق أن القلم يعجز إذا حاول أن يلخص هذه الرحلة الفذة فى كلمات . . وكما قلت من قبل أن شرح النفرى إفقار للنفرى . . لأن كل كلمة من كلماته بحر والبحر لا يمكن احتواؤه فى قطرة .

والسبيل الوحيد إلى شرح النفرى هى العودة إلى قراءة النفرى من جديد بتأمل واستغراق .

وقد مضت على خمس سنوات وأنا أقرأ النفرى وما زلت أخرج منه كل يوم بجديد .

الفهرست

	الصفحة
رؤية العقل والبصيرة	٥
عن التوحيد	٢٠
الامتحان	٢٢
معنى اسمه « العزيز »	٢٥
الجمعية مع الله	٢٦
الحرف	٢٧
معنى الآية « إن إلى ربك المنتهى »	٣٠
معنى الإسلام	٣١
الأنا	٣٢
العلم	٣٤
السر	٣٨
أدب التخاطب مع الله	٤٠
اسمع عهد ولايتك	٤٢
النظر	٤٤
فى البعد والقرب	٤٥
الخاص والعام	٤٦
كل ذى عدة مهزوم	٤٧
ادخل إليّ وحدك	٤٨
الوقوف بين يدى الله	٥٠
الغيبة والرؤية والشهود	٥٢

	الصفحة
الحجب	٥٣
ما يقوله الله لعبده	٥٤
مخطوطة جديدة عثر عليها للنفرى	٧٩
الوصول إلى الله	٨٠
الرؤية الكبرى	٨٢
من آداب المجالسة	٨٥
الصبر	٨٨
من يجيرنى من الهوى	٩١
وزن العمل ووزن الإيمان	٩٣
العقل	٩٤
الجواز والعبور	٩٥
موقف « كن »	٩٦
لا تناقش أحكامى	٩٧
النفس	٩٨
موقف النظر إلى وجهه	١٠٠
موقف الوسوسة	١٠٢
البينة	١٠٣
السياحة	١٠٦
القيومية	١٠٧
الحق لمن ؟	١٠٨
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	١١٠
التحرر من الصور	١١٢
حمد العارفين	١١٣
متى يستوى الضدان فى الوجد	١١٤

	الصفحة
غلبة الرؤية على العارف	١١٥
الموقف الذى تحار فيه قلوب العارفين	١١٧
فى التجريد والتنزيه	١١٨
دعاء	١١٩
شهود الوحدانية فى الأشياء	١٢١
الحروف والخواطر	١٢٢
أصحاب الرونق والزخرف	١٢٤
مناجاة	١٢٥
دعاء العارفين	١٢٦
هو	١٢٧
العارفون والعابدون	١٢٨
مقامات الواصلين ومراتبهم	١٢٩
العلم . المعرفة . الوقفة . الرؤية	١٣٠
مخاطبة الله للسموات والأرض	١٣٢
عن الحجاب	١٣٣
بحث فى طبيعة القلب	١٣٤
ما قاله الله لعبده	١٣٦
مذهب النفرى فى المعرفة الإلهية	١٤٥
فهرست	١٥٧